الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

الموسومة بـــ:

دراسة بيوغرافية

أحمد ابن أبي محلّي

967هـ/1021هـ

1559 م /1615م

إعداد الطالبتين:

❖ عشار ميمونة

❖ قوادري سميرة

إشراف الأستاذ:

موساوي مجدوب

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.مداح عبد القادر	رئيسا
أ. خنفار الحبيب	مناقشا
أ. موساوي مجدوب	مشرفا

السنة الجامعية: 2016/2015

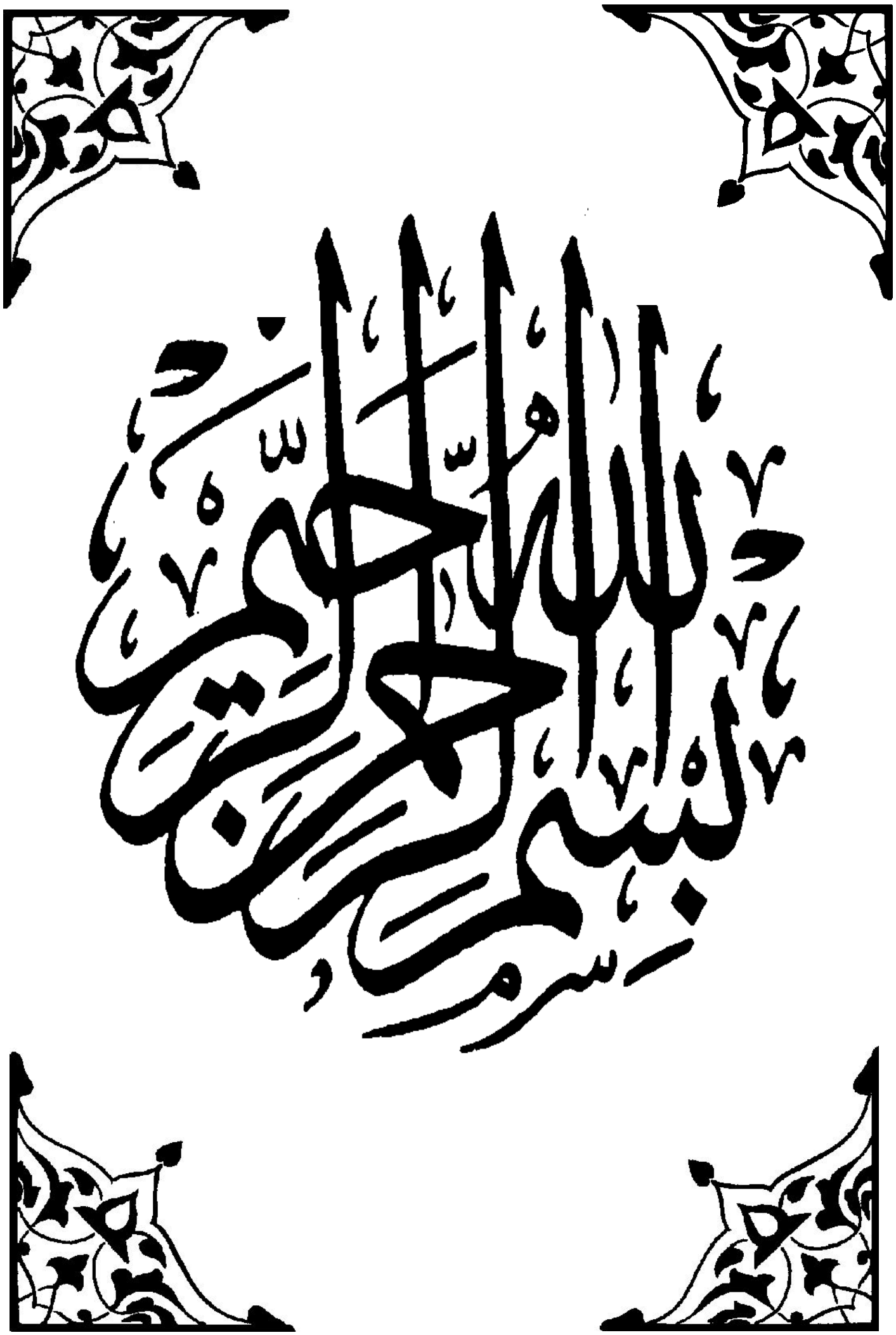

شكر وعرفان

نشكر المولى عزّ وجلّ على توفيقه لنا لإتمام هذه المذكّرة وهدانا الأستاذ لاختيار هذا الموضوع. . . . فله الحمد والشكر.

كما نتقدّم بالشكر الجزيل والدّعاء إلى أستاذنا المشرف **موساوي مجدوب** الّذي لم يدخر أي جهد في مد العون في تيسير السبل وإزالة العقابات وكلّ ذلك في تواضع منه ورفق ولين.

كما لا ننسى أساتذتنا الكرام الّذين لم يبخلوا علينا بما ينفعنا من علم طوال المدّة الدّراسية، فجازاهم الله عنّا كلّ خير.

وكلّ من مدّ لنا يد العون من قريب أو بعيد في إنجاز عملنا هذا.

اهداء

نهدي عملنا المتواضع إلى الوالدين الكريمين الذين لهم الفضل الكبير بعد الله فيما وفقنا إليه كما نهديه إلى جميع إخوتنا، وأخواتنا الأعزاء الذين ساعدونا كثيرا لو بكلمة طيبة وابتسامة مشجعة، وإلى كافة الأساتذة من الابتدائي إلى الجامعي وفي الأخير نهدي تحياتنا إلى كل من عائلة قوادري وبالأخص الكتكوت حسين ودعاء وفتحي وعبد القادر ومحمد وألهومة وزوجها أحمد وصونيا وأمها عزيزة وفاطيمة ونوال كما لن أنسى أختي فتيحة ومليكة، كما نهدي تحياتنا إلى عائلة عشار وبالأخص أخي الأكبر رفيق دربي الذي ساعدني كثيرا ماديا ومعنويا أتمنى له كل التوفيق وأخي ناصر وعبد الكريم وسهيلة وكرمة ووسام روحنان وليلة وآية والكتكوتة دعاء، كما لن أنسى زهرة عيني

قائمة المختصرات:

- ص: الصفحة
- ص، ص: الصفحات متلاحقة
- ص — ص: من الصفحة ...إلى الصفحة...
- ج: الجزء
- ط: الطبعة

- م: ميلادي
- ه: هجري
- تح: تحقيق
- تق: تقديم
- تعر: تعريب
- تق: تعليق
- ع: عدد
- تر: ترجمة

مختصرات باللّغة الأجنبية:

- page :p

مقدمة

تعتبر الدراسات البيوغرافية للتعريف بشخصيات، من أهم ما يشجع في الحقل الأكاديمي، وذلك لما لها من أهمية بالغة في تسليط الضوء على نشاطاتهم، والظروف المحيطة بهم. لذلك اخترنا شخصية أحمد ابن أبي محلي، الذي له وزنه السياسي في المجتمعين المغربي والجزائري.

عرف المغرب الأقصى تعاقب عدة أسر حاكمة تميزت كل واحدة منها بخصائص انفردت بها عن أخرى، وتأتي في مقدمتها الأسرة السعدية التي ضعفت أركانها خاصة بعد وفاة أحمد المنصور السعدي، التي شكلت نقطة انطلاق فترة طويلة من الفوضى في المغرب، فكثير من القوى التي احتوتها.ولمدة طويلة قوة هذا السلطان حيث شكلت الفترة التي تلت وفاته، انتعاشة فريدة للطامعين في الحكم، لكن القليل منهم هم الذين شكلوا خطورة كابن أبي محلي الفيلالي، مع أن فترته لم تعمر طويلا، إلا أن انعكاساتها على المدى البعيد كانت قوية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في معالجتها لمسيرة شخصية بارزة في تاريخ المغرب الحديث، بحيث تناولنا مسار أحمد ابن أبي محلي في جوانب عدة من حياته بكل تحولاتها وإخفاقاتها ونكشف عن مرحلة زمنية عاش فيها داخل مجتمع المغرب الأقصى.

لقد كان اختيارنا لهذا الموضوع نابعا عن قناعتنا ورغبتنا الخاصة في التعريف بالفقيه أحمد ابن أبي محلي، كونه لم يحظ بالدراسة في إطار مستقل، ومساهمة منا في نفض الغبار عن حياته وآثاره وهذا ما جعلنا نسلك طريق البحث الشاق، بغية الوصول إلى الحقيقة، وإزالة الغموض عن شخصيته، وكذا التأريخ لإنجازاته القيمة.وبناءا على هذا نطرح الإشكال التالي:

ما هي الظروف المحيطة بتكوين شخصية أحمد ابن أبي محلي السياسية والاجتماعية والثقافية؟

وتنبثق عن الإشكالية مجموعة من التفرعات وهي كالتالي:

من هو أحمد ابن أبي محلي؟

كيف كان مساره العلمي؟

وما هي أهم أسفاره العلمية التي عقدها إلى مختلف بلدان المشرق والمغرب الإسلاميين؟

وما هي دوافع إعلانه الجهاد ضد المولى زيدان؟

وما هي مكانته؟ وإسهاماته العلمية؟

وهذه وغيرها من التساؤلات سنحاول معالجتها في هذه الدراسة التي اتبعنا فيها المنهج التاريخي معتمدين في ذلك على التحليل والاستنتاج انطلاقا من النصوص التاريخية المشتقات من مصادرها الأصلية كما اجتهدنا ألا تخرج دراستنا عن إطارها العام المحدد لها سلفا كونها مرتبطة بدراسة بيوغرافية لأحمد ابن أبي محلي.

وقد واجهتنا عدة صعوبات منها التعامل مع المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع بشكل تام، كما أن مادتها العلمية مكررة فيما بينها وليس فيها أي جديد.

كما واجهتنا صعوبات في التعريف ببعض الأعلام والأماكن الواردة في المصادر التي اعتمدنا عليها في دراستنا.

بناءا على ما جمعنا من مادة علمية جاءت الخطة شاملة تستوفي عناصر الموضوع، فجعلنا الهيكل العام للدراسة مكونا من مقدمة وثلاثة فصول، ويتبعها خاتمة لرصد نتائج الدراسة ثم ملحق.

تناولنا في الفصل الأول عصر أحمد ابن أبي محلي بالجزائر والمغرب باعتباره ظل متنقلا بين البلدين فتحدثنا فيه عن مراحل الحكم العثماني التي تزامنت مع حياة أحمد ابن أبي محلي وهي فترة البيلربايات وباشوات وأهم الأحداث والتطورات والإنجازات التي عرفتها الجزائر خلال هذه الفترة.

ثم تطرقنا للحديث عن وصول السعديين إلى حكم المغرب وبصفة خاصة فترة حكم زيدان ابن أحمد المنصور الذهبي،كما تطرقنا في الفصل الأول إلى الحالة الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية خلال عصر أحمد ابن أبي محلي سواء بالجزائر أو المغرب.

أما الفصل الثاني فقد تم فيه معالجة حياة ومسيرة أحمد ابن أبي محلي بدءا من اسمه ومولده، نسبه، ثم تعليمه، تصوفه، حركته ضد السعديين، مقتله.

أما الفصل الثالث خصص للحديث عن آثاره المتمثلة في تصانيفه المتنوعة التي فاقت ألف ورقة.

وأنهينا هذه الدراسة بخاتمة موجزة تم فيها عرض النتائج المتوصل إليها، وما يمكن أن تتيحه من آفاق لدراسة مواضيع متصلة بها، ثم أثبتنا الدراسة بملاحق في آخرها.

ولابد قبل ختام هذه مقدمة أن نذكر أن اعتمدنا على عدة مصادر مخطوطة وأخرى مطبوعة وأهمها:

أ) المصادر العربية المخطوطة المطبوعة:

- "الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت" لأبن أبي محلي الذي أفادنا في التعرف على مضمون مخطوطه الإصليت.

- ومخطوط"مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس النكوس السفلة المنخدعة" الذي أفادنا في التعرف على شيوخه.

ب) المصادر العربية المطبوعة:

- نزهة الهادي في أخبار ملوك القرن الحادي للوفراني هو مصدر متخصص في الدراسة للدولة السعدية حيث أفادنا في التعرف على رحلاته العلمية وأساتذته الذين تتلمذ على يدهم.

- الدولة السعدية التكمدارتية لمؤلف مجهول الذي يعتبر من أهم المصادر لدراسة التاريخ السياسي للدولة السعدية، فإن قيمة الكتاب تكمن في أن المؤلف كان بعيدا كل البعد عن المبالغة والمدح والثناء على السلاطين وغيرهم، والذي أفادنا بشكل كبير في معرفة الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى.

- المعسول للمختار السوسي الذي يعتبر من أهم المصادر التاريخية والتي تتضمن الصوفية الكبار واعتمدنا على جزئه 19 والذي أفدنا في التطلع على المراسلات التي كانت بين يحي الحاجي وأحمد ابن أبي محلي في فترة جهاده.

- وصف إفريقيا للحسن الوزان فقد جاء في وصف المدن والمناطق المغربية التي تعرضت للاحتلال المسيحي كما تضمن الكتاب وصفا دقيقا للحياة الاقتصادية والاجتماعية مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16.

- اليوسي محاضرات في اللغة والأدب حيث أفادنا هذا المصدر في التعرف على الظروف المحيطة بابن أبي محلي والتي كانت سبب في إعلانه المهداوية.

ج) كتب التراجم:

- الأعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين للزركلي الذي أفادنا في شرح بعض الشخصيات التي صادفتنا.

- طبقات حضينكي للحضينكي الذي أفادنا هو الأخر بالتعريف بالشيوخ الذي تتلمذ على يدهم أحمد ابن أبي محلي.

د) المراجع العربية :

- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى للناصري الذي يعتبر من أهم المصادر التاريخية المتخصصة في تاريخ المغرب الأقصى وجامع للتاريخ السياسي للمغرب الأقصى من العهد المريني إلى العهد العلوي، وقد اعتمدنا على جزئيه الخامس والسادس الذي أفادنا في التعرف على نسبه وجهاده.

- المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات حيث جاء هذا الكتاب ملما بتاريخ المغرب حيث أفادنا في التعرف على الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى في عهد السعديين.

- أعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور الذي تطرق إلى التعريف بالعديد من علماء المغرب العربي وقد اعتمدنا على جزئه الخامس الذي أفادنا خصوصا في معرفة حياته العلمية وثورته مع زيدان.

- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين لمحمد حجي والذي تضمن أهم المراكز الثقافية أيام السعديين في المدن والأرياف واعتمدنا على جزئيه الأول والثاني لما كان يقتضيه الأمر لتعرف على مساره العلمي ومؤلفاته.

هـــ) المراجع الفرنسية:

Jacqursberque الذي أفادنا في التعرف على مولده.

كما اعتمدنا على رسالة جامعية المتمثلة في:

- أطروحة دكتورة في التاريخ الحديث سجلماسة/ تافيلالت من اندراس المدينة إلى واحة القصور لسعيد واحيحي والتي أفادتنا في التعرف على ما تركه هذا الأخير من آثار نثرية وشعرية.

كما اعتمدنا على مجموعة من المقالات التي تخدم دراستنا هذه وقد أوردناها في القائمة البيبليوغرافية.

وفي الأخير لا ندعي من دراستنا هذه أننا أخذنا بمجامعها إذ كثير من الجوانب ما زالت ناقصة فقد ينطبق علينا قول الأصفهاني:" إني رأيت أنه لا يكسب إنسان كتابا في يومه; إلا وقال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولا زيد لكان يستحسن، ولو قدم لكان أفضل ولو ترك لكان أجمل وهذا من أعظم الصبر، وهو دليل على استيلاء النقص على البشر."

وحسبنا أن يكون أملنا من دراستنا إضافة علمية جديدة لحقل البحث العلمي وأن نكون قد وضعنا للباحثين والمهتمين والدارسين لبنة أساسية عنها، والتي لا بد من المزيد من البحث والنظر فيها قصد الكشف عن الكثير من خصوصيتها خصوصا إذ ما حققت تصانيف أحمد ابن أبي محلي المختلفة.

الفصل الأول

الفصل الأول: عصر أحمد ابن أبي محلي بالجزائر والمغرب الأقصى

أولا: عصره بالجزائر

- 1: الحياة السياسية
- 2: الحياة الاقتصادية
- 3: الحياة الاجتماعية
- 4: الحياة الثقافية

ثانيا:عصره بالمغرب الأقصى

- 1: الحياة السياسية
- 2: الحياة الاقتصادية
- 3: الحياة الاجتماعية
- 4: الحياة الثقافية

أحمد ابن أبي محلي من بين أولئك الشخصيات كثيروا التّرحال، فبحكم رحلاته عاش عصرين، أولهما بالجزائر والآخر بالمغرب الأقصى.فظل يتنقل بين هذين البلدين فعاصر العهد العثماني بالجزائر وبالتحديد عصر البيلربايات والباشوات، اللذان امتازا بالاستقرار والتطور في جميع المجالات.

أمّا بالنسبة لعصره بالمغرب الأقصى فقد امتازا بالاضطراب والفوضى نتيجة عدة أسباب حيث حاولنا أن نقدّم صورةً دقيقةً عن هذين العصرين، وتحديد مميزات كلّ عصرٍ من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

أولا: عصره بالجزائر:

أ- الحياة السياسية:

1- دوافع التواجد العثماني بالجزائر:

في البداية كان العثمانيون يحاولون توحيد المسلمين، ومنع الدول الغربية المسيحية من بسط نفوذها في العالم الإسلامي، ووقوفها كسُورٍ منيعٍ في طريق التوسّع الأوروبي طوال أربعة قرون من الزمن، أما بالنسبة للجزائر فإن الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد في بداية القرن 16م، وتفاقم الخطر الإسباني والإيطالي هي العوامل الرئيسية التي دفعت بالجزائريين أن يستنجدوا بالأخوين عروج[1].وخير الدين،[2] لإنقاذهم من الاحتلال الأوروبي، وذلك باللجوء إلى الدولة العثمانية القوية لتزويد المحاربين الجزائريين بالذخيرة والرجال لصدّ العدوان، إضافة إلى الدوافع الاقتصادية المتمثلة في احتلال موانئ دول المغرب العربي من طرف أوروبا، وإجبار سكان هذه المنطقة على دفع الضرائب.

1 أخو خير الدين من أب يسمى يعقوب بن يوسف ثاني إخوته أربعة ولد 1473م/877هـ، كان يهوى الحياة البحرية فأنشأ مركبا للتجارة.عبد الرحمن بن محمد الجيلالي. **تاريخ الجزائر العام**، ج3، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر،2007 م، ص 34.

2 تولى الحكم من سنة1518م/ 923هـ-1533م /939هـ يعتبر مؤسس الإيالة وقائدها في الدفاع عنها ضد الحملات، استرجع البنيون سنة 1529م. يمينة درياس. **السكة الجزائرية في العهد العثماني**، ط.1، دار الحضارة للطباعة والنشر، الجزائر، الجزائر،2007م، ص 65.

وهذا ما جعل سكان هذه المنطقة يستنجدون بالأخوين عروج وخير الدين، من أجل إحباط المحاولات الأوروبية الرامية لاستيلاء إسبانيا على المدن الساحلية الجزائرية[1].

2-مراحل الحكم العثماني بالجزائر:

أ- عصر البايلربايات 919/1514هـ -1587م /995هـ :

يمثل أزهى عصور الحكم التركي في الجزائر، حيث ازدهرت البلاد في هذه الفترة من النواحي التعليمية والاقتصادية والعمرانية، وذلك بفضل التعاون بين فئة الرياس في القيادة وأبناء الجزائر، وقد ساهم في تنمية البلاد وازدهارها مهاجروا الأندلس، الذين وظّفوا خبراتهم ومهاراتهم في ترقية المهن والبناء العمراني، وتقوية اقتصاد الجزائر، وقد تميّزت هذه الفترة من تاريخ الجزائر بحقائق يمكن أن نوجزها فيما يلي:

دام عهد البايلربايات مدة طويلة، فكان يأتي قرار تعيين الحاكم في الجزائر من طرف السلطان العثماني، كما كانت السلطة في يد رياس البحر.[2]

وجنود البحرية، إضافة إلى تميّز هذا العصر بعدة أحداث منها: تحرير برج الفنار [3] عام 1529م/935هـ ممن الإسبان، وتحرير بجاية من الاحتلال الإسباني عام 1574م 981هـ، كما واجه البايلربايات ملوك الإسبان وملوك المغرب.[4]

---

1 الجيلالي. المرجع السابق، ص 34.

2 تشمل مجموع الذين يعشون في البحر على القرصنة، وكانت تشمل بالدرجة الأولى الرياس مالكي السفن وعمال الصيانة، كالتجار والجلافطة. عائشة غطاس وآخرون. **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 45.

3 هو اسم القلعة التي أنشأها بيدرو دونا فا الإسباني سنة 1510م/915ه، ومعناها الصخرة العظيمة.الجيلالي.المرجع السابق،ص3.

4عمار بوحوش.التاريخ **السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962م**، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ص51-52.

وكذلك وقوع الحملة التركية على تونس[1]، والتحاق خير الدين بالأسطول العثماني[2] ووقوع حملة شرلكان على مدينة الجزائر[3]، وإخضاع مملكة كوكو وبسكرة[4]، كما قام حسن باشا[5] بحملة على المغرب الأقصى[6].

لكن أبرز حدث في هذه الفترة هو تحرير تونس من الإسبان في معركة ليبانت سنة 1571م/978هـ التي قادها علج علي، كما كان الحكام العثمانيون أمثال سليمان الأول وسليم الثاني ومراد الثالث مغبيطين للسماح بوجود علاقة مبنية على الاستقلال الذاتي، وباستدعاء الزعماء الكبار بين فترة وأخرى ليجازوهم بمنصبٍ عالٍ في الحكومة العثمانية نفسها.

وقد ابتدأ هذا الأسلوب بتعيين خير الدين، ثم استمر بواسطة تلك الوجوه الجزائرية الكبيرة في حروب القرن 16م[7].

---

1 بعد وفاة السلطان الحفصي أبو عبد الله سنة 1526م/932ه، فحل محله الحسن بن محمد الذي كان طاغية و لم ينجو من بطشه سوى أخوه الذي استنجد بخير الدين فاتجه الأسطول العثماني على متن 1800إنكشاري، وعند وصوله وقعت معركة يوم 16أوت 1534م/6 صفر941ه ففر السلطان مولاي الحسن كما لقي خير الدين ترحيبا من قبل التونسيون وبقي بها إلى غاية 1535م/942ه.صالح عباد.**الجزائر خلال الحكم العثماني**، ط.1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 98 – 101.

2 التحق به في أواخر سنة 1535م/942ه تاركا وراءه حسن أغا على رأس قيادة المنطقة باعتباره خليفة كما عمل على توسيع رقعة الإيالة.المرجع نفسه، ص102.

3 أولى لها الإمبراطور أهمية كبيرة وجمع لها إمكانيات بشرية ومادية ضخمة شاركت الكنيسة الكاثوليكية فيها فتكونت من 24 ألف جندي من الألمان والإيطاليين والإسبان، كما كانت تضم فرسان مالطا وفي 21أكتوبر بلغ الأسطول خليج مدينة الجزائر وبعد إنزال القوات أوفد الإمبراطور مبعوثه إلى حسن أغا يعرض عليه مكافآت مقابل التخلي عن المدينة، فرفض الحسن وخرج رفقة فرسانه بقوة لم تتمكن فرسان مالطا من صد الهجوم، وتحطمت كل سفنهم فغادر شار لكان مدينة الجزائر يوم 16نوفمبر أما حسن أغا أرسل له السلطان سليمان قفطانا.امرجع نفسه، ص103.

4 سار حسن أغا في 1542م/948ه إلى ملك كوكو على رأس حملة لكن ملك كوكو رأى أنه غير قادر على مواجهة هذه القوات خضع لأتراك دون قتال وقدم لهم كمية كبيرة من المال والتزم بدفع الضريبة سنويا تأكيد للوفاء بإلتزماته قدم ابنه رهينة لأتراك ثم سير حسن أغا حملة أخرى إلى بسكرة فحصل على خضوع السكان لسلطته.المرجع نفسه، ص 109.

5 وقع أسير في يد خير الدين في سواحل سردينا فرباه خير الدين ونقله من دينه الأصلي المسيحية إلى الإسلام.المرجع نفسه، ص 103.

6 استغل الملك المغربي الشريف محمد المهدي الوضعية المضطربة في الجزائر، فاحتل تلمسان بدعم من بوغانم القائد السابق لبني راشد فجهز حسن باشا حملة لكن قبل دخوله تلمسان غادر الملك المغربي خوفا من الهزيمة.المرجع نفسه، ص 130.

7وليم سبنسر. **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع، وتق، عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، سبتمبر2007 م، ص 83.

أمثال صالح رايس[1] وعلج علي [2] فكل واحد منهم كان مثل خير الدين، لكن مراد الثالث في سنة 1568م/975 هـ بعد موت العلج علي أصدر فرمانا يلغي التسمية المنفصلة للبيلربايات، وقد عوّض هذا الفرمان ذلك المنصب بمنصب الباشا، لكن المراسلات استمرت تذكر بايلربايات الجزائر حتى القرن 19م[3].

ب- عصر الباشوات 1587م/995هـ - 1659م/1069هـ:

تعتبر هذه الفترة مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر، وذلك لأن السلطان العثماني أراد أن يخفف من حدة النزاع بين فئة الرياس البحرية بلقب البايلرباي أو أمير الأمراء، ولذلك قرر السلطان العثماني إلغاء هذه الرتبة وتعويضها برتبة أخرى هي رتبة الباشا.ونتيجة لهذا التغيّر أصبح السلطان العثماني يقوم بتعيين الباشا لمدة 3 سنوات، لكن المشكل هو أن كل باشا معين في الجزائر لمدة قصيرة كان ينصرف إلى السلب والنهب وجمع الثروة قبل عودته إلى القسطنطينية، وهذا ما دفع اليولداش أو رجال الجيش البري أن يثوروا على الباشوات، ويضعفوا نظام الحكم في الجزائر[4].

وأوّل باشا تمّ تعيينه هو الباشا خضر[5]سنة 1588م/996هـ الذي احتفظ بمنصبه لمدة 4 مرات، وقوسة مصطفى بقي 3 سنوات، وهناك كثير من الباشوات بقوا في المنصب لفترتين، وبمرور الزمن واستمرار النجاح في البحر أصبحت الجزائر في اكتفاء ذاتي متزايد وإستكنفت عن تشريف سلطة الباب العالي في تعين الباشوات، وبالرغم من أنهم كانوا يُستقبَلون في احتفالٍ إلا

1 حكم من 1552م/959ه -1556م/963ه،استطاع أن يضم إلى دولته كل من ورقلة وتوقرت، كما تخلص من السلطة السعدية بتنصيبه لأبي حسون المريني ملكا على فاس وطرد الإسبان من مدينة بجاية وضم تلمسان إلى الجزائر وكان يجهز لفتح وهران لكن المنية سبقته.درياس. المرجع السابق، ص 66.

2 حكم من1568م/975ه-1587م/995ه واجه الإسبان بكل حزم وأنقذ الكثير من المسلمين الأندلس، فتح تونس ذاع صيته في معركة ليبانت1571م/978هـ لهذا نعت بهذا الاسم نظرا لكفاءته التي جعلته يصل إلى رتبة أمير البحرية العثمانية. المرجع نفسه، ص 70.

3 سبنسر. المصدر السابق، ص 83.

4 بوحوش. المرجع السابق، ص 58-59.

5 ولد سنة 1589م/997ه حكم الجزائر ثلاث مرات ومن بين الأحداث التي وقعت في عصره، تتمثل في إيقاف ثورة قبائل بني عباس، ونشاط الجهاد البحري وتهديم المركز التجاري لفرنسا الموجود بالقالة توفي سنة 1603م/1011ه.درياس. المرجع السابق، ص77.

أنهم وجدوا أنفسهم معزولين، فتعينهم شمل الفترة الممتدة من سنة 1658م/1068هـ إلى سنة 1559م/966هـ.[1]

وباختصار تميّزت هذه المرحلة بتعين باشا تركي في كلٍّ من الجزائر وتونس وطرابلس، بعد أن كان هناك حاكم واحد للمنطقة يوجد مقر حكمه بالجزائر، كما ظهرت خلافات وتناقضات بين جنود البحرية الجزائرية وبين جنود البحرية العثمانية، وخاصة عندما حاول الأتراك أن يخضعوا المصالح الجزائرية لمصالح الإمبراطورية العثمانية.كما برزت قوة الرياس إلى درجة أن دول أوروبا أصبحت تخشى الجزائر، وتسعى لإقامة علاقات تعاون معها، كما حصل تصادم وتنافر بين جنود البحرية وجنود القوات البرية، وخاصة أن رجال البحرية كانوا يحصلون على غنائم كبيرة جرّاء غاراتهم البحرية الناجحة على أساطيل القوات الأوروبية.[2]

أما بالنسبة للأحداث التي عرفتها هذه الفترة نلخصها فيما يلي: أهمها الباشوات في مواجهة القادة الأهالي والإنكشارية[3]، وتمرّد أمير بني عباس[4]، وتمرّد الإنكشارية، وشنّ حملة مصطفى كوسة[5] على وهران[6]وتوتر العلاقة بين الجزائر وفرنسا[7].

1سبنسر. المصدر السابق، ص 88.

2المصدر نفسه، ص89.

3ألغت الدولة العثمانية منصب البايلرباي ولجأت إلى تعين باشوات يديرون الإيالة لمدة 3 سنوات قابلة للتجديد فكان عهد الباشوات عهد الاضطراب والتمردات أخطرها انتفاضة الناحية الشرقية من الإيالة وتمرد أمير بني عباس على السلطة التركية.عباد.المرجع السابق، ص 165.

4 استغل مشاكل الحكم فنظم جيش وامتنع عن دفع الضريبة للأتراك هاجم حاميات الإنكشارية في زمورة وفي برج بوعريريج. المرجع نفسه، ص ص166-167.

5 1013/1605ه – 1613م/1021ه حكم مرتين تميز عهده وفي هذه الفترة أيضا تم عقد معاهدة مع فرنسا محتواها عدم إرجاع أسرى فرنسا إلا بعد إرجاع أسرى المسلمين من فرنسا.درياس. المرجع السابق، ص 95.

6 كانت في سنة 1606م/1014ه نتيجة خرجات الإسبان ضد الأهالي واستيلائهم على قطعان الماشية والغنائم وحوالي 5000أسيرمن الأهالي، لهذا نظم مصطفى كوسة حملته لكنه خسر فيها الأرواح والعتاد. عباد. المرجع السابق، ص 170.

7في 14 ديسمبر 1608م/6 رمضان1017ه استولى دونسا على سفينة إسبانية بين الباليار وبلنسة وكان عشرة من رجال الدين اليسوعيين من بين ركابها باعهم في المزاد العلني في الجزائر، فأرسل هنري الرابع ملك فرنسا إلى قنصله في الجزائر كي يعمل على تلطيف هؤلاء، وبعد وفاته الملك هنري وقعت قطيعة بين الجزائر وفرنسا، وكان الرياس أكثر المتشددين تجاه فرنسا، وكانوا سعداء لهذه القطيعة التي فتحت المجال لضرب السفن الفرنسية، فتوتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا.عباد. المرجع السابق، ص ص173-174.

وتمرّد إمارة كوكو[1]. كما تزايدت أعمال القرصنة وردود الفعل الأوربية.[2]

ب- الحياة الاقتصادية:

إن الحالة الاقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني، كانت مرتبطة بأوضاعها الداخلية والخارجية، التي كانت تعيشها البلاد في تلك الفترة، فارتكزت على الفلاحة والصناعة والتجارة، فتكامل هذه القطاعات الثلاثة أدخل الجزائر ضمن المنافسة الخارجية.

1- الفلاحة:

يشكّل سكان الأرياف الغالبية الساحقة في المجتمع الجزائري، وقد اكتسب النشاط الاقتصادي بفضلهم وبفضل الزراعة طابعا فلاحيا، وأصبحت الزراعة تمثل المورد الرئيسي للسكان، فتنوعت المحاصيل الزراعية، وذلك حسب الظروف البشرية المتمثلة في وفرة اليد العاملة، ووجود الأسواق الاستهلاكية.أما الظروف الطبيعية فتمثلت في طبيعة الملكية إذ نجد الملكيات مقسمة إلى:الملكية الخاصة[3]،ملكية البايلك[4]، الأراضي المشاعة[5]، أراضي الوقف[6]

1 كان سي عمر قد خلف محمد بن أحمد على عرش مملكة كوكو سنة 1583م/990ه فكان طاغية يصادر أملاكهم وحاول أن يحصل دعم الإسبان ليواجه الأتراك وكان مرسى أزفون نقطة التقائه مع الإسبان وعندما علم أتراك الجزائر هاجموا أزفون محدثين مجزرة في صفوف الإسبان فأرسل إلى إسبانيا يشرح لها كيفية مقتل جنودها وينصحها أن تسرع لاغتنام الفرصة لاحتلال الجزائر وبقي معاديا لأتراك إلى غاية وفاته سنة 1618م/1027ه.المرجع نفسه، ص 175.

2 كان رد فعل البلدان الأوربية على تزايد نشاط القرصنة تنظيم حملة بحرية، على سواحل بلاد المغرب سنة 1611م/1019ه تحت قيادة المركيز الإسباني دي سانتا كروز إلا أن بعض التقديرات تشير إلى أن رياس الجزائر استولوا على 447 قطة هولندية 19 فرنسية و12 إسبانية و56 إنجليزية إن هذه الفرصة عمقت الخلافات مع فرنسا.المرجع نفسه، ص 176.

3 هي أراضي يستغلها أصحابها بطريقة مباشرة، تتميز بصغر حجمها، وتوجد في الجزائر، وهران، قسنطينة، البليدة.ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي.**الجزائر في التاريخ**، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،ص 48.

4 هي أراضي للدولة، تؤخذ عن طريق المصادرة، أو في حالة ترحيل السكان، تستغل عن طريق نظام الخماسة، وعن طريق التويزة، أو عن طريق الكراء.أحمد مريوش.**الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007، ص 228.

5 هي الملكيات التي تستغل جماعيا، ويعود حق التصرف فيها إلى سكان القبيلة أو الدوار عن طريق زعيم أو شيخ القبيلة، تفرض عليها ضريبة سنوية.محمد العربي الزبيري.**مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، د.ط، الجزائر، 1985، ص127.

6 هي الأراضي التي حبست للإنفاق على الأعمال الخيرية والمؤسسات الدينية، هذه الأراضي لا تخضع لأي ضريبة أو رسوم، ولا تتعرض لأي مصادرة أو حجز عن الحكام.سعيدوني والبوعبدلي.المرجع السابق، ص 51.

- الحرف:

إن أهم الصناعات المتوفرة بالجزائر هي:

أ- صناعة السفن: شجعت على نشاط البحرية الجزائرية، وتطور عملية الغزو البحري، وكانت الجزائر تتوفر على أهم المراسي منها شرشال، جيجل، عنابة.

ب- صناعة السلاح: المتمثلة في صنع البنادق والمدافع وتجهيز البارود[1]، وكانت تصنع بالمدن الكبرى كقلعة بني راشد قسنطينة والجزائر.

ج- الصناعة الغذائية: توزعت على أفران الخبز والمطاحن وعصير الزيتون وتصبير الفواكه، وتنتشر في مناطق الجزائر كتلمسان وبوسعادة.[2]

د- الصناعة النسيجية: تمثلت في صنع الزرابي والأقمشة والمخمل، وتنتشر في البليدة، ندرومة، تلمسان، مستغانم.وكذا صناعة الأغطية والجلابيب والأحزمة وصناعة الأحذية والسروج والألجمة.[3]

ه- صناعة الحلي والأحجار الكريمة: اختصت بها أفراد الجالية اليهودية، وبعض من الحضر والأندلسيين والكراغلة، في مدن الكبرى، حيث كان الحرفين منخرطين تحت نقابات، ولكل حرفة ممثل يدعى أمين ومجموع الأمناء يرأسهم شيخ البلد.[4]

---

1 تتكون المواد الأولية خاصة بصناعة البارود من الملح والكبريت والفحم، فملح البارود يوجد في الأماكن المهجورة وعلى الأسوار والجدران ويعرف أحيانا بملح الحائط، أما بالنسبة للكبريت فكان يستورد من الخارج، ويتم تحضيره وتصفيته لصناعة البارود، أما الفحم فيتم الحصول عليه عن طريق حرق أشجار البندق والبلوط وأشجار الدفلة، أما أهم المناطق التي تقوم بإنتاج هذه المادة هي المناطق الجبلية، كجبال بلاد القبائل ومنطقة جيجل وبجاية والأوراس، أما بالنسبة لمصانع البارود فهناك مصانع دار السلطان ومصانع البايلكات ومصانع الخاصة.لخضر درياس.**المدفعية الجزائرية في العهد العثماني**، ط.1، دار الحضارة للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2007، ص48-62.

2محمد عبد الله شريط ومبارك الميلي.**مختصر في تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي**،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 38.

3الزبيري.المرجع السابق، ص 56.

4عائشة غطاس.**الحرف والحرفيين بمدينة الجزائر(1700-1830)**، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر،2007، ص 212.

3- التجارة:

للتجارة تأثير مباشر على الأوضاع المالية والاقتصادية للإيالة الجزائرية، وكانت هي قطاع التعامل على الصعيد الداخلي والخارجي، لذلك ظهر نوعين من التجارة داخلية وخارجية،فالداخلية تتمثل في النشاط التجاري المحلي المتمثل في الأسواق الجهوية التي تنعقد في أيام معينة من الأسبوع، وإلى جانب هذه الأسواق كانت هناك أسواق المدن التي تنظم عند مدخل المدن الكبرى، ويمكن القول بأنه كان هناك نوع من الاتصال بين أسواق المدن والأسواق الريفية، إما عن طريق مقدم سكان الريف أو بواسطة الوسطاء من التجار الذين ينتقلون بين الأسواق المحلية.

أما التجارة الخارجية فعلى الرغم من تنوعها فإن الأرباح الضخمة التي كانت تدرها، كانت تذهب في معظمها إلى التجار اليهود وإلى كبار الموظفين والضباط الأتراك الذين لم يكن يهمهم تطور وسائل الإنتاج وتجديدها، بقدر ما كان يهمهم تكديس الثروات، وبالتالي لم يكن هناك محرك اقتصادي يدفع إلى تجديد وسائل توسيع أسلوب الملكية الإقطاعية.[1]

ج- التركيبة الاجتماعية:

بدأ عدد سكان الجزائر يتضاءل تدريجيا بسبب الأوبئة والمجاعات، والانتقال إلى الريف للهروب من دفع الضرائب، والضغوطات السياسية.لهذا كان المجتمع الجزائري مجتمعا ريفيا لأن عدد سكان الريف قدر بـــ 90% وعدد سكان المدن قدر بـــ 5% [2]

1- المؤثرات الخارجية على المجتمع الجزائري:

أ- الأندلسيين: بدأت هجرتهم إلى الجزائر خلال القرن 9ه، وتقوت خلال القرن 10ه بسبب فرارهم من الاضطهاد الإسباني، فحلوا بمدن شرشال، تنس، مستغانم، دلس، بجاية وعنابة وأسهموا في الحياة الاجتماعية.

1مبارك بن محمد الهلالي الميلي.**تاريخ الجزائر في الحديث والقديم**، ج3، بيروت، لبنان، 1964م، ص 310، 313.

2 بوحوش. المرجع السابق، ص 82.

ب- الأتراك: أثروا في الحياة الاجتماعية وذلك بربط المجتمع الجزائري بالمجتمع المشرقي، فقد جاء العثمانيون بوسائل حضارية شرقية إلى الجزائر من مأكل، ومشرب وألقاب وصنائع وتقاليد،وأدخلوا المذهب الحنفي إلى الجزائر وجاءوا بالطرق الصوفية، كما أثروا في الحياة الثقافية إلى جانب الحياة الاجتماعية.

ج- المسحيين واليهود: الجزائر العثمانية شهدت نشاطا أوروبيا بحريا كبيرا على سواحلها وفي مدنها الرئيسية، فكان ذلك التزاع البحري الطويل الذي استغرق أجيالا والحرب عامل تأثير، وذلك بمعرفة الجزائر خلال الحرب بني الأصفر أو الروم، وتبادلوا معهم التجارب والمهارات العسكرية كالصنائع البحرية وبناء السفن وحماية المراسي. كما عرف المجتمع الجزائري التجار الذين لعبوا دورا كبيرا في التجارة الخارجية.[1]

د- الأسرى المسحيين: بالآلاف وفيهم النساء والأطفال وأصحاب المهارات والأدباء، وكان هؤلاء الأسرى يعملون في انتظار فديتهم، وكانوا يستخدمون في الزراعة والبناء والنظافة، والطب.

وبعضهم اعتنقوا الإسلام وكانوا غير معزولين عن المجتمع الجزائري، بل كانوا يختلطون بأهله ويعملون معهم، ومنهم من أصبح مستشار ومنهم من أصبح قادة أو مدرسين عسكريين[2].

2- طبقات المجتمع:

أ- سكان الحضر:

1- العثمانيون: هم فئة متميزة كانوا ينظرون إلى السكان نظرة استعلاء، كما كان همهم جمع الأموال هو أساس علاقتهم مع السكان.[3]

1عباد. المرجع السابق، ص 354.

2 المرجع نفسه، ص 354.

3 أبو قاسم سعد الله.**تاريخ الجزائر الثقافي 1500م-1830م**، ط.5، دار البصائر، الجزائر،2007، ص 105.

2- الكراغلة: بعد الوجود العثماني بالجزائر ظهرت هذه الفئة، وكانوا يطمحون بالميلاد واللغة والانتماء العائلي إلى المرتبة الأولى في المجتمع والعثمانيين منعوهم واعتبروهم كراغلة غير أصليين أو أبناء عبيد.[1]

3- فئة الحضر: تشمل سكان المدن وهي تضم العلماء والتجار وأصحاب الحرف والصنائع والكتاب والإداريين، كما تشمل كل من استوطن المدن من أهل البادية، كما كانت هذه الفئة محرومة من التطلع السياسي، لأن احتكار العثمانيين للسلطة قد أوصد الأبواب في وجهها، لكن هذه الفئة كان لها نفوذ مالي عن طريق التجار الكبار والأمناء والعلماء ولكن تأثيرها بقي محدودا لم يصل إلى درجة الحكم نفسه.[2]

ب- سكان الأرياف:

تهيمن عليهم الحياة القبلية سواء في الصحراء، أو في السهول العليا، أو في المناطق الجبلية والسهلية، وحتى الجماعات التي ليست لها علاقة قرابة انضمت في تنظيمات قبلية، كما هو الشأن مع بعض جماعات المخزن.وانطلاقا من تصنيف "لويس رين" نجد أصنافا من القبائل في الأرياف الجزائرية مثل قبائل الأجواد[3] وقبائل المرابطين[4] وقبائل المخزن[5] وقبائل الرعية.[6]

د- الحياة الثقافية:

أما عن الحياة الثقافية في الجزائر خلال الحكم العثماني فقد طبعت بالطابع الإسلامي، فقد ارتبط التعليم والقضاء والعلاقات الاجتماعية والفكرية بالنظام الإسلامي فكان التعليم منتشرا في

1 المرجع نفسه، ص 135.

2 بوحوش. المرجع السابق، ص 74.

3 هم الذين فرضوا نفوذهم أو حتى سلطتهم بالقوة في منطقة من المناطق.عباد.المرجع السابق، 362.

4 يعود انتشارهم في الأرياف ابتداء من القرن 15م، وامتد نفوذهم إلى المناطق الجبلية وكانت لهم علاقة مع الأتراك.المرجع نفسه، 363

5 لجأت إليهم السلطة التركية كقوة ضاربة في الأرياف.المرجع نفسه، ص 364.

6 كانت تدفع الضريبة والرسوم المختلفة، كما كانت تفرض عليها أعمال السخرة، وكانت وضعيتها أسوء من وضعية تلك القبائل التي لم تكن تخضع للسلطة المركزية.المرجع نفسه، ص 364.

أوساط القرى عن طريق المساجد والزوايا التي كانت تمول من الأوقاف التي يهبها أهل الخير والصلاح، إلى جانب ذلك فقد كان هناك ما يسمى "الشريعة" وهي الخيمة التي تنصب في القرية لتعليم أطفالها، وكان هناك أيضا الكتاب أو ما يسمى "المسيد" كان يقبل عليه الأطفال من ذكور وإناث وتركز التعليم على القرآن الكريم والحديث والعلوم العربية والإسلامية.

إلى جانب ذلك فقد بنى الأتراك بعض المدارس ومع كل ذلك فإنه يمكن القول أن الجزائر عانت مثل بقية بلاد المسلمين من تأخر العلمي، وعدم القدرة على الإبداع، كما أهملت العلوم العقلية مثل الكيمياء والطب وفيزياء وغيرها.[1]

ثانيا:عصر أحمد ابن أبي محلي بالمغرب الأقصى:

أ- الحياة السياسية:

عاصر أحمد ابن أبي محلي حكم السعديين، الذين ظهروا في الميدان، عندما بقيت ناحية الجنوب وثغور السوس عارية عن كل دفاع، واستيلاء الأجانب على معظمهم آنذاك، حيث توج أحمد المنصور الذهبي بانتصارات أخرى ضد البرتغاليين، لما استقر بمراكش وأمن من هجوم الترك على المغرب طمحت نفسه إلى التغلب على بلاد تيكوراراين والتوات[2] من الصحراء، وفي زمنه توطد الأمن وكثر العمران وازدهرت العلوم والأدب وكون مجلسا ديمقراطيا سماه الديوان.

---

1 عبد المنعم الجميعي. **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002 م، ص 30.

2 يقع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية، التي هي جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية وتبعد أقرب نقطة منه عن العاصمة الجزائرية نحو 1500كلم يشتمل على العديد من الواحات والقصور تزيد على 350 واحة متناثرة والإقليم حاليا يقع ضمن امتداد أدرار وتيميمون وعين صالح. محمود فرج فرج. **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 13.أما بالنسبة إلى أصل التسمية اختلف الباحثون فيه ويدور الاختلاف على مذهبين تتفرع منهما أراء مختلفة فالمذهب الأول يقول أن أصل الكلمة عربي وممن قال به من المؤرخين المحلين محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي التمنطيطي والشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي فالأول يرى أنها من الأتوات والثاني يرى أنها من فعل واتي فهي تواتي للعبادة أما المذهب الأخر فهو يقول أن أصل الكلمة أعجمي بربري لا صلة له بالعربية وممن قال به عبد الرحمان السعدي صاحب كتاب تاريخ السودان.عبد الله كروم.**الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات**، دار النشر، دحلب، ص21.

وقد تألفت حكومته من وزراء ذوي ثقافة عالية، ومن المساعدين عهد إليهم بمهمة الكتابة الخاصة أو القيام بسفارات مؤقتة، وكان من بين وزرائه أبو فارس عبد العزيز الفشتالي[1] الأديب المؤرخ وعبد العزيز المزوار[2].

ومن كتّابه أبو عبد الله بن عيسى ومحمد بن عمر الشاوي وعلي بن أحمد الشامي.وقد بويع بوادي المخازن غداة الموقعة ثم جددت بيعته بفاس، وكانت بعد مرور عشرة أيام على قدومه إليها، وقد عجل بذهاب إلى فاس قبل مراكش، وقد رشح محمد المأمون ولده لولاية العهد بإشارة جماعة من الوزراء والأعيان ثم عقد البيعة في أخر شعبان، وقد كانت هذه الخطوة من أبرز مظاهر الضعف في سياسة المنصور، كما عمل على تقسيم المغرب بين أبنائه، وتقوية علاقاته مع الدول الإسلامية والمسيحية على سواء منذ انتهاء معركة وادي المخازن[3]، وكان له مراسلات مع أمراء مصر والحجاز.

أما البرتغال فقد سلموا تلقائيا إلى المنصور مدينة أصيلا التي احتلوها سنة 997هـ - 1589م وتم التسليم رسميا في 1592م/1000هـ[4] وفي عهده توارد على المغرب بعض القناصل الفرنسيين ولكن لم يتمكنوا من ربط علائق متينة مع المغرب بسبب الحروب الدينية، وقد كان زيدان أذكى أبناء منصور وأحقهم بالملك من حيث قوة الشخصية، لكن لم يكن مستقيم السلوك كما كان يوصف بالشدة، والعنف وكان نائبا عن والده بتادلة وأحوازها.تخصص زيدان في العلوم الدينية مع

---

1 بدأ حياته ككاتب في ديوان إنشاء المنصور و لم يكن يجاريه أحد في هذا المجال، كما دون أخبار الدولة السعدية فأصبح مؤرخ الدولة الرسمي وألف كتاب عن تاريخ العام للدولة السعدية منذ نشأتها في مطلع القرن 16 وعمر بعد المنصور بنحو 20 سنة وعاصر الأحداث المؤلمة التي عاشتها المغرب بعد وفاة المنصور.أبي فارس عبد العزيز الفشتالي. **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تح، عبد الكريم كريم، ط.2، الرباط، 2005، ص 4.

2 هو وزير المنصور من رجال العلم والحرب حتى لقد زعموا أنه جمع خزانة تحتوي على خمسين ألف مجلد وكان من بين الوزراء ذوي الشخصية قوية.إبراهيم حركات.**المغرب عبر التاريخ من بداية المرنيين إلى نهاية السعديين**، ج2، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 2000، ص 337.

3986هـ/ 1578م تعرف بمعركة الملوك الثلاث لأنها سقط فيها ثلاثة ملوك سبستيان والمتوكل وعبد الملك والأسباب التي دفعت بالبرتغال لشن هذه الحملة على المغرب هي انهزام العثمانيين في ليبانت 979ه 1571م وافتتان السعديين على الملك والضائقة الاقتصادية للبرتغال وفقدان البرتغال لبعض مستعمراتها في عهد الملك يوحنا الثالث 1557م/964ه واستنجاد محمد المتوكل بالبرتغال.الجيلالي.المرجع السابق، ص 98.

4 حركات. المرجع السابق، ص 263.

المشاركة في الفنون الأدب، وبعد وفاة المنصور نصب زيدان بفاس بتدبير من المفتي محمد القصار[1]والقاضيين ابن أبي نعيم وعلي السلاسي بموافقة قواد الجيش، وعلى الرغم من أن زيدان أظهر كثيرا من الحزم في محاربة الثوار، فقد كان هو نفسه ضحية سياسة والده الفاشلة فضاعت كل جهوده في سبيل إقرارا لوحدة الوطنية.[2]

توجه إلى مراكش يطالب أخاه أبا فارس في نصف المال الذي خلفه لهما والدهما، فأبى أن يعطيه صاحب مراكش فكثر اللجاج بينهما على ما ذكر، فتوقفوا للحرب بعد أن قسموا البلاد من تادلة إلى تازة ونواحيها لمولاي زيدان (صاحب فاس)، ومن تادلة إلى سوس ونواحيها لأبي فارس (صاحب مراكش) وجعلوا دار من عمالة مراكش وسجلماسة ومن عمالة فاس ورضوا بذلك واستقل كل واحد منهما بناحية، فكان ذلك سبب افتراق الكلمة والجماعة وابتداء المخالفة وعدم الطاعة وفتح أبواب الفتنة والشرور، وغلق أبواب الهدنة وذهاب السرور، وسمي جيش فاس وعمالتها بجيش الغرب، وجيش مراكش وعمالتها بجيوش مراكش والسوس.

لم يهنأ زيدان بالملك طوال مدته فقد تكاثر الثوار والمطالبون بالعرش، وفي هذه الفترة نشطت حركة الجهاد الشعبي البحري التي اتخذت هدفا مزدوجا المقاومة الوطنية وإضعاف السفن المسيحية الاقتصادية، فتعرضت لعدة ثورات ثورة أبي فارس 1012هـ/1603م فكانت هناك حرب بين زيدان وأخيه أبي فارس، وثورة محمد الشيخ التي انقلب فيها محمد الشيخ ضد أخيه أبي فارس باستيلائه على فاس، وثورة ابن أبي المحلي، وثورات فاس وسوس[3].

والجدير بالذكر أن الثورات التي حدثت في عهد زيدان تتخذ ثلاثة اتجاهات حسب المناطق أو الوضع السياسي:

- ثورات في الأسرة الحاكمة وتتركز مبدئيا في المدن الكبرى خصوصا فاس ومراكش.

1هو مفتي فاس الغرناطي أصلا وأبا وهو تلميذ أبي نعيم رضوان وجاز محمد خروف الأنصاري وغيرها بلغ من سعة اطلاعه فيما قيل وكانت وفاته سنة 1012ه 1603م بمراكش حيث دفن إلى جانب أبي العباس السبتي.حركات.المرجع السابق، ص 347.

2 المرجع نفسه، ص 264 – 277.

3 مؤلف مجهول.**تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تح، عبد الرحيم بنحادة، ط.1، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، 1994، ص 84.

- ثورات شعبية ذات طابع محدودي، وتنشأ غالبا بسبب سوء سيرة الولاة كما حدث في سلا.
- ثورات ذات صبغة وطنية وإقليمية قام بها صوفية أو فقهاءك العياشي وابن أبي المحلي ويحي الحاجي وابن حسون السملالي،ومعظم هذه ثورات منطلقها من الجنوب.[1]

ب- الحياة الاقتصادية:

لقد شهدت البلاد نشاطا اقتصاديا واتساع مجال الإنتاج الزراعي والصناعي والتجاري، ولاسيما أن فترة الحكم السعدي قد شهدت تغيرا عميقا في مقومات الحياة الاقتصادية، وبدأت الدولة تنتعش اقتصاديا(الزراعة والصناعة والتجارة).فقد توافدت على المغرب أعداد كبيرة من أبناء الأندلس المطرودين من ديارهم، والذين كانوا يجدون في بلاد المغرب وطنا لهم وملاذ أمنٍ من محاكم التفتيش والاضطهاد والمضايقات، وحمل كل هؤلاء خبراتهم الواسعة في ميادين الزراعة والصناعة وحتى التجارة، وساهموا مع إخوانهم المغاربة في هذه النشاطات الكبيرة.

1- الفلاحة:

كانت عدة مناطق تنعم بالخصب وجودة الإنتاج، وبالرغم من الثورات العابرة أو المستمرة التي حدثت بعد وفاة المنصور، وهكذا ظلت منطقة زرهون من أخصب بقاع المغرب منذ عهد سابق للغزو الروماني، وسجل مرمول أن هذه المنطقة لم يكن بها في عهده قيد أنملة غير مغروس أو مزروع، فقد كانت ضواحي فاس كلها تدر الخيرات على اختلافها حتى لقد اعتبرها مرمول من أخصب بلاد العالم، وكانت ناحية تارودانت[2] تنعم بمغروساتها المختلفة من كرم وزيتون وفواكه وخضر فضلا عن مراعيها المخصصة للخيل والإبل فقد كان أهل تافيلالت أغنياء بمواشيهم العديدة حيث لا تكثر الماشية إلا مع الخصب، حيث أولى المنصور عناية كبرى بالأراضي الفلاحية، فقد نظم الزراعة في مختلف أنواع المزروعات من حبوب وغلل وفواكه وخضر وزيتون ونخيل،

1 المصدر نفسه، ص85.

2 مدينة عظيمة أسسها الأفارقة تقع جنوب الأطلس الكبير، بعيدة عنه بما لا يزيد قليلا عن أربعة أميال.الحسن بن محمد الفاسي الوزان. **وصف إفريقيا**، ج1، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر،ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 117.

وكذلك الاعتناء بالماشية من قطعان البقر والغنم والماعز، والاهتمام بالري وسقي الأراضي عن طريق استغلال الأودية العظيمة والشبكة المائية الغزيرة.[1]

2- الحرف:

لقد تطورت الصناعة وازدهرت خاصة، الصناعات التي كانت الدولة المغربية تقوم باستغلالها تدر عليها بأرباح عظيمة، ومن أهم تلك الصناعات، وصناعة الأسلحة التي اهتم المنصور بإنشائها وتطويرها، وأهم هذه المصانع تلك التي كانت بالقصبة الملكية بمراكش، وندرج ضمن مصانع الأسلحة دور صناعة السفن التي عمل المنصور على تأسيسها بالموانئ المغربية، أملا منه في خلق أسطول مغربي، فقد عمل على تنشيط التجارة مع الأجانب وفرض الضرائب، فقد هاجم السودان من أجل الاستيلاء على مناجم الذهب، ومع ذلك لم يكفه كل ذلك فلجأ إلى إرهاق الشعب بالضرائب[2].

إضافة إلى صناعة المعادن التي كانت تصنع بالمغرب وبعضها الآخر كان يصدر خاما إلى الخارج، ومن أهمها: ملح البارود، معادن النحاس، الحديد، الرصاص، ملح الطعام، الرصاص المائل كالجبال الراسية والبارود المنبت في الدهاليز الندية والمخازن الرحيبة.[3]

وقد تطورت الصناعة تطورا هاما، وأخذت بعدا جديدا لم تشهده البلاد من قبل، وقد أبدى السلاطين السعديين اهتماما كبيرا بهذا الجانب من جوانب الحياة المغربية، لاسيما الجانب الدفاعي الحربي والعسكري الذي كان يشكل في نظرهم البعد الحقيقي لقوة الدولة وكيانها، في ظل المخاطرة الخارجية.[4]

---

1 حركات. المرجع السابق، ص 377-378.

2 عبد الكريم كريم.**المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط. 3، المملكة المغربية، الرباط، 1427ه- 2006م، ص 254 – 256.

3 الفشتالي.المصدر السابق، ص211.

4 كريم.المرجع السابق، ص 258-260.

3- التجارة:

لقد شهد المغرب خلال العهد السعدي نوعين من التجارة داخلية وخارجية، فالداخلية نمت بفضل الأمن والاستقرار، وبفضل ازدهار الزراعة في البادية ونمو الصناعات بالمدن، حصل تبادل بين هذين القطاعين فانتعشت التجارة الداخلية، وظهر عن ذلك أسواق أسبوعية والفصلية والسنوية في البوادي، أما الأسواق التجارية بكبريات المدن المغربية كانت مزدحمة بالدكاكين المملوءة بالبضائع والمنتجات المختلفة.[1]

أما بالنسبة للتجارة الخارجية كانت للعلاقات السياسية الواسعة مع الخارج أثر كبير في نموها، حيث أقبل التجار الأجانب من جميع أقطار أوروبا الغربية إلى المغرب، كما كان للمنصور رغبة في الحصول على الذخيرة الحربية، ومختلف أنواع الأسلحة إضافة إلى مشروعات المنصور العمرانية، وما تطلبه من استيراد لبعض مواد البناء كالرخام مثلا لاستعماله في مباني قصر البديع.[2]

ج- التركيبة الاجتماعية:

كان للأمن والاستقرار أثر كبير في تطور مظاهر المجتمع المغربي، زمن المولى أحمد المنصور إذا امتزجت تيارات حضارية مختلفة تركية وأندلسية وأوروبية وسودانية مع مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، التي كانت تطبع المغاربة في كثير من نواحي حياتهم، وقد نتج عن هذا الاتصال أن أخذت أنماط الحياة الاجتماعية تتطور، فوضعية الأتراك داخل المجتمع المغربي كان لهم في مدينة مراكش العاصمة حي خاص نظرا لعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم الخاصة، ولكن مع الأيام أخذوا يتفاعلون مع السكان فأخذ عنهم المغاربة نظما وعادات في المأكل والمشرب والملبس، وفي ميدان البناء والعمران ولا تزال بعض المناطق في مراكش تحمل أسماء تركية مثل حي الدباشي.[3]

---

1 المرجع نفسه، ص 259 -260.

2 حركات.المرجع السابق، ص 390-391.

3 نسبة إلي القائد دباشي التركي أحد قادة المنصور.المرجع نفسه، ص 286.

أما الأندلسيون فقد كانت تأثيرهم أعظم من أي عنصر خارجي آخر، لأن المغرب مع الأندلس تبادلا التأثيرات السياسية والحضارية، فالعديد من مقومات المجتمع المغربي الحديث ترجع أصولها إلى المهاجرين الأندلسيين.[1]

د- الحياة الثقافية:

لقد أولت الدولة السعدية عنايتها الكبرى لشؤون الثقافية في البلاد فتجددت حركة العلم والأدب، واحتل رجالها مكانتهم المرموقة في المجتمع المغربي، ونشطوا في تأليف الكتب في شتى العلوم والفنون والأدب خصوصا في عهد الملك المنصور الذهبي الذي يعتبر بحق فريد عصره، فيما أوله من عناية وتشجيع العلم والأدب، ولكن هناك ملاحظة هامة وهي أن هذا النشاط الثقافي الذي استؤنف من جديد في العهد السعدي لم يستطع التقدم إلى الأمام في حرية وانطلاق بسبب قيود التأخر، الذي كان قد أصابه من قبل، ومن أسباب ذلك الازدهار العلمي والأدبي وجود الكثير من النوابغ الفكر الأندلسي في المغرب اللذين هاجرو إليه، واتخذوه موطنا ثانيا لهم بعد ضياع فردوسهم، ومضايقة الإسبان لهم في دينهم وعروبتهم وثقافتهم، وكان بين هؤلاء النوابغ علماء فواحل في الطب والفلسفة والحساب والحيوان والنبات، وعلى أيدهم نبغ الكثير من المغاربة، وكان لزاوية الدلائين التي تأسست في نواحي تادلة فضل عظيم في الدور العلمي الذي لعبته في عهد هذه الدولة خصوصا في أواخرها، حيث كانت مركزا للإشعاع الفكري في مختلف فروعها، وحافظت بأمانة على ثقافة المغرب.[2]

لقد تعددت المراكز الثقافية أيام السعديين في المدن والأرياف، وتكاثر عددها ومن بينها فاس ومراكش ومحمدية(تارودانت).[3]

---

1 كريم.المرجع السابق، ص 264 -268.

2 محمد حجي.**الحركة الفكرية بالمغرب في العهد السعديين**، ج2، مطبوعات فضالة، الدار البيضاء، المغرب، 1398ه – 1978م، ص 340.

3 المرجع نفسه، ص 340.

مما سبق ذكره نلاحظ أن ابن أبي محلي عاش عصرين مختلفين، وهذا ما جعله يترك بصماته في كلا البلدين، وهو ما حاولنا إظهاره من خلال دراستنا لجل الأوضاع التي عرفها كل من عصر الدايات والباشوات بالجزائر والعصر السعدي بالمغرب الأقصى.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: حياة ومسيرة أحمد ابن أبي محلي

- أولا: اسمه ومولده
- ثانيا: نسبه
- ثالثا: تعليمه
- رابعا: صفاته
- خامسا: تصوفه
- سادسا: جهاده
- سابعا: مقتله

يعتبر أحمد بن أبي محلي نموذجا لشخصية من إفراز الظرفية وواقع متأزم سيطر فيه القلق والعنف وحدة الصراع، وقد حاولنا في هذا الفصل أن نقدم ترجمة لهذه الشخصية من حيث نشأته وتعليمه وتصوفه وجهاده متتبعين مساره إلى غاية مقتله.

أولا– اسمه ومولده:

هو أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي[1]كان يزعم أنه من نسل العباسيين[2] وينتمي ابن أبي محلي لعائلة أولاد القاضي التي اشتهرت بسجلماسة والتي لا صلة لها بتلك التي اشتهرت بفاس على حد قوله، أما أخواله فهم أولاد رحو وأمه هي المولاة بنت علي بن أحمد بن أبي القاسم البرزوزي ماتت وهو صغير فكفلته جدته، أدخله أبوه المكتب وكان يسهر بنفسه على مراقبته[3] ولد بسجلماسة يوم الثلاثاء في العشر الأواسط من شوال عام 967هـ/ 1559م.[4]

ثائر متصوف ومن العلماء، تلقى تعلمه الأولى على يد والده، دخل إلى قرى بني العباس للمرة الأولى وهو في طريقه إلى الحج عام 1000هـ/1591م[5] فمكث بها ثلاثة أشهر تزوج أثناءها بنت شيخ البلد عبد الله بن محمد ابن شمس الدين العياشي، ثم استقر بها نهائيا بعد رجوعه من الحج، وولد له فيها أولاد وعاش في رغد وسعة يضيف الزوار الواردين عليه من المشرق والمغرب الأوسط والأقصى، ويقضي حاجات العلماء اللذين يكاتبونه من مكة والقاهرة وفاس وغيرها، اتخذه المنصور كمستشار خاص له بشؤون الصحراء، وأمر عمالة تيكوراراين وتوات باتصال بابن أبي محلي والأخذ برأيه في مشاكل التي تعترضهم هناك، بعد أن مضى على ابن أبي محلي عشر سنوات في بني العباس اتخذ زوجة ثانية في بني جومي على بعد مرحلتين من بني عباس شمالا، وظل

1 محمد حجي.الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط.1، الرباط، 1409ه 1899م، ص 142.

2 محمدقبلي.**تاريخ المغرب تحنين وتركيب**، ط.1، الرباط، 2011، ص 393.

3 عبد المجيدالقدوري.**ابن أبي محلي الفقه الثائر ورحلته الإصليت الحريت**، د.ط،منشورات عكاظ، المغرب، 1991، ص39.

4 Jacques Berque. **Ulémas**, **fondateurs**, **insurges du Maghreb**, xviie siècle, éditions, sindbad, paris, 1982, p 45.

5 مجدوب موساوي.**فهرسة لمؤلفات الفقه أحمد بن أبي محلي المخطوط**، المجلة الخلدونية، ع، السابع، تيارت، ص287.

يتردد عليها فكان له منها أولاد، كما اتخذ زوجة ثالثة في فجيج وهي ابنة الشيخ عبد القادر السماحي، لكنه فارقها بعد ثلاثة أشهر عندما تبين له –حسب زعمه–نفاق الشيخ وإباحته على طريقة العكاكز الشرقية[1] ولد في أول دولة السلطان السعدي أبي محمد عبد الله، أواخر دولة سيدي أبي عبد الله محمد الشيخ السعدي[2].

نشأ ابن أبي محلي في أسرة عربية ذات أصول هاشمية تميزت عن غيرها من القبائل بالعلم وامتهان القضاء[3].

لقد أمضى صاحبنا طفولته بقصر أولاد رحو مسقط رأسه، كما كان والده يعتمد عليه في تدبير شؤون بيته كثيرا وذلك لشدة بأسه على الخادم، وصرامته، وتبادله الرأي مع والده[4]،قال صاحب البستان : أما الانتساب إلى العباس بن عبد المطلب عنه فقد أنكر ابن خلدون وجود النسبة العباسية في المغرب، قال في فعل اختلاط الأنساب وما بعده وما نصه : و لم يعلم دخول أحد من العباسيين إلى المغرب لأنه كان منذ أول دولتهم على دعوة العلويين أعدائهم من الأدارسة

1 حجي.**الحركة الفكرية**، ج2، المرجع السابق، ص 625 – 626.

2 سعيد واحيحي.**سجلماسة/تافيلالت من اندراس المدينة إلى واحة القصور 796ه 1393م، إلى أواخر القرن 11ه /17م**، (دراسة تاريخية، اجتماعية، ثقافية)، أطروحة لنيل الدكتورة في التاريخ، إشراف مولاي هاشم العلوي القاسمي، شعبة التاريخ ظهر المهراز فاس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المملكة المغربية، 1425ه 2004م، ص 209.

3 محمد برشان.**الشيخ أحمد بن أبي محلي الفقه السياسي**، تفاعل ثقافي وتواصل تاريخي، سلسلة القوافل العلمية(2)، **دور علماء ساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، ملتقى بشار**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر،2010، ص 98.

4 الإدريسي عبد الله حمادي.**السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه الإمام أحمد ابن أبي محلي مهدي وادي الساورة (967ه / 1560م – 1021هـ – 1612)**، ج1، سلسلة إحياء التراث التاريخي والثقافي لولاية بشار وصحاري جوارها الجزائرية (4)، ط.1، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434ه – 2013م، ص 34–36.

والعبيديين فكيف يسقط العباسي إلى أحد من الشيعة العلويين[1]كما ادعى احمد بن أبي محلي أنه المهدي المنتظر[2].

حاول ابن أبي محلي أن يدعى لنفسه أصلا شريفا بانتسابه إلى العباسيين، فأورد لأسرته شجرة نسب لاحظ بخصوصها الأستاذ عبد المجيد قدوري عدم انطباق معيار ابن خلدون لتحقيق الأنساب عليها، كما عاد ابن أبي محلي نفسه، لما لم يتمكن من إثباتها، ليعترف باختلاط الأنساب في المغرب قائلا : فاختلطت الأنساب العجمية الجوار والأصهار، حيث وجد ابن أبي محلى نفسه أمام خصم شديد المراس، قوته العسكرية والسياسية الضارية، وحجته العلمية دامغة، وشهرة أهله بالصلاح مدونة، فلم يجد أمامه إلا أن يترع عنه ما لم يستطع إثباته لنفسه النسب الشريف[3]

ثانيا– نسبه:

هو أبو العباس أحمد بن أبي محمد عبد الله بن محمد عبد الله بن محمد بن محمد (المتوفى بسجلماسة بالوباء عام (809هـ/ 1406م) بن القاضي الحاج أبي عبد الله بن محمد (وهو الجد الذي ينتمي إليه أولاد القاضي[4] من أولاد أبي محلي) بن القاضي ابن محمد المكنى بأبي بركات(ويقال له أيضا بركة مفردا أو بركات بالجمع) بن القاضي أبي سرحان مسعود بن عمرو بن أبي بكر بن عمرو بن محمد بن اليسع بن أبي محلي (الجد الجامع لأولاد أبي محلي) بن عكاشة بن أحمد بن

---

1 أبو العباس أحمد بن خالد الناصري.**الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح، الأستاذ جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج6، الدار البيضاء، 1955، ص 62.

2 خير الدين الزركلي. **الأعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين**، ج1، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت، ص 162.

3 نور الدين صادق.**حركة الشيخ يحي الحاجي وقيام إمارة تارودانت من الدعوة إلى الإمارة**، ج1،منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2010م، ص 37.

4 تعرف آسرة آل القاضي بأولاد اليسع لكنهم يشتهرون في الوسط الفيلالي، بأهل زاوية القاضي بسبب اشتهار الأسرة بالقضاء بحاضرة سجلماسة وامتدت شهرة الزاوية إلى العهد السعدي، ينتسب آل القاضي إلى الوالي الأشهر والقطب الأنوار سيدي محلي، وهي زاوية عبارة عن زاوية أو ضريح أما نسبهم العرقي كان محل خلاف فهناك من أرجعهم إلى الأصول الأمازيغية ورفع بذلك نسبهم إلى قبيلة لمتونة الشهيرة ومنهم من قال بأن أصلهم من مغراوة الذين كانوا ملوكا لحاضرة سجلماسة ومجالاتها.سعيد واحيحي. **مهداوية ابن أبي محلي الفيلالي ومخطوطه «تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة"**،الطبعة الأولى، المطبعة الرباط، ص 14-15.

المأمون بن أمير المؤمنين هارون الرشيد العباسي بن المهدي بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن الصحابي الجليل سيدنا أبي الفضل العباس –عم الرسول صلى الله عليه وسلم- بن عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ينتسب صاحبنا إلى أولاد القاضي من أولاد أبي محلي عموما. فكل قاضوي من قبيلة محلي وليس كل محلي منهم قاضوي فالذين اختصوا بأولاد القاضي من عائلة هم فقط ذرية الجد القاضي الحاج أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي محمد المكنى بأبي البركات.[1]

أما أولاد أبي محلي من قبيلة فهم ذرية الجد أبي محلي بن عكاشة بن أحمد والذين يجمعهم جدان فقط من ذرية أبي محلي المذكور وهما الضوان عمرو، وعبد الله ابنا أبي بكر بن عمرو بن محمد بن اليسع بن أبي. فمن عمرو الأول بن أبي بكر تنزل أولاد قاضي، والذين هم أيضا أولاد أبي محلي.ومن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو الثاني تنزل بقية أولاد أبي محلي اللذين ليس لهم نسبة في أولاد القاضي فهم محليون لا قاضون.

أما الجد أبو محلي أبو جيل القبيلة فلا يعرف صاحبنا ولا أحد من قبله سبب اشتهاره بهذا اللقب مع شهرته بعد أن باحث صاحبنا وسأل النسابة زمنه ومنهم العلامة النسابة أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي فقد أخبره أنه طالع في كتاب أنساب[2] مختصر الذيل لابن سمعاني عام واحد وثمانين.[3]

كان عنده لكنه لم يعد عنده يومها وقرأ فيه أن أولاد أبي محلي هم بربر مغراوة أو لمتونه لكنه لم يقبل الجواب وحاول أن يفسر كلامه على محمل يثبت فيه عباسية نسبهم، كما ذكر أيضا صاحبنا أن أحد طلبة العلم ممن يتهم بالكذب أنه قرأ في كتاب أنساب قديم لكنه للأسف احترق وأنه وجد فيه أن أولاد أبي محلي كانت سكناهم الأولى مدينة مكناسة بالمغرب ثم أنهم خرجوا منها

1 محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني.**نزهة الهادي بأخبار ملوك القرن الحادي**،مطبعة بريدين، أنجي، 1888،ص 201.

2 حمادي. المرجع السابق، ص 21-25.

3 الوفراني.المصدر السابق،ص 201.

لسجلماسة بقصد تعليم الناس وفيها أنهم من ذرية سيدنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، كما لهم إخوة في النسب بمدينة تلمسان الجزائرية.[1]

ثالثا– تعليمه:

نشأ في وسط أسرة عربية ذات أصول هاشمية تميزت عن غيرها من قبائل المنطقة بالعلم وامتهان القضاء[2]، بدأ طلبه العلمي على يد والده[3]القاضي الإمام أبي محمد عبد الله بن محمد أبي محلي العباسي.[4]

الذي اعتنى به منذ الصغر في حفظ القرآن وتلقين مبادئ العلم، فلولاه كما يقول ابن أبي محلي"لضعت، فجزاه عنا في ضبطه، وضغطه"[5]، فكان أبوه يتولى بنفسه استظهار سور القرآن في الليل ويحثه على العلم ويعيره أحيانا بما يقرّح القلب قائلا له «إن تقرأ تكون طراحا أو بقالا كفلان وفلان أو جزار، لأنه كان لديدا غير مجتهد في صباه على حد قوله، ويضطر إلى تكرار ما كتبه في اللوح لمدة 7 أيام وإذا حفظه ينساه.[6]

أدخله أبوه المكتب وكان يسهر بنفسه على مراقبته، فقال "أن أبوه كان شديد البأس، فقال ضربني بعدما يوثقني بالحبل لما رأى من شرودي، وولوعي بصيد العصافير، واللعب بالكرة

1 حمادي. المرجع السابق، ص 24-25.

2 عبد الوهاب بن منصور.**أعلام المغرب العربي**، ج5، المطبعة الملكية، الرباط، 1410هـ-1990م، ص 286.

3 عبد الله المرابط الترغي.فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن 12ه منهجيتها – تطورها – قيمتها العلمية، ط1، د.بلد، 1420ه-1999م، ص 639.

4 يقول عنه ابن أبي محلي في كتابه الإصليت الخريت هو القاضي الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد أبو محلي العباسي الفقيه الأجل العالم الأفضل العلامة، الحاج الأمجد يعرف بأبي محلي العباسي القرشي، قاضي سجلماسة وبها اشتهر عكس ما أشار إلى ذلك محقق الأنوار الحسينية أنه كان مؤذنا ومن حفاظ ابن الحاجب الفرعي عارفا بعلم الأنساب فهو من الموقعين على رسم صحة نسب شرف السيد عبد الله الشريف والسيد عبد الرحمان الشريف بن السيد علي الشريف الحسني.واحيحي. **مهداوية**، المرجع السابق، ص17.

5 المرجع نفسه، ص 18.

6 موساوي. المرجع السابق، ص 287.

وحضور الأعراس وزعامتي فلولا تعنيفه مع ما سبق لضعت، فجزاه الله في ضبطه وضغطه"، ففي المكتب حفظ القرآن أو كما أشار ختمه أربع مرات بل 3 مرات.[1]

حفظ القرآن بسجلماسة وتلقى مبادئ العلم ثم رحل عام 980ه إلى فاس لاستكمال دراسته فسكن مدرسة العطارين، وأخذ الفقه والحديث والنحو والأدب عن شيوخ جامع القرويين.[2]

أ–حياته العلمية بفاس (980هـ–986هـ/1572م-1578م):

اعتبار دخول أحمد بن عبد الله إلى فاس تحولا ومنعطفا حاسما في حياته، لقد انبهر عند دخوله فاس[3]، حيث أصبح مستقلا في قراراته وبعيدا عن ضغوط أبيه ولكنه، على ما يبدو، لم يستفد كثيرا من الناحية العلمية[4].

فقال"كان خروجي لطلب العلم بفاس في حدود 980هـ/1572م وأن يومئذ مراهق أو بالغ الحلم، لا همة لي إلا في العلم فأقمت بفاس نحو 5 سنين، فكانت مدة طلبه للعلم بحاضرة فاس هي 5سنوات أو تزيد بقليل، حيث دخل حاضرة فاس نحو سنة 982هـ/1574م ثم خرج منها سنة 986هـ/1578م في الواقعة المشهورة بوادي المخازن، فكان في عاميه الأولين من طلبه العلم بفاس يحفظ المتون فقط كمتون النحو والعقائد كالصغرى والمقدمة للسنوسي، ثم اجتهد فأخذ علم رسم المصحف الشريف، ثم بدأ في حفظ نظم الأجرومية في النحو مع أخيه وبعد أن حصل علم النحو والعربية بفاس خرج منها.[5]

---

1 القدوري.المرجع السابق، ص39.

2 بن منصور.المرجع السابق، ص 286.

3 انبهار ابن أبي محلي بوضع لنا مكانة فاس العلمية في الفترة التي تعنينا، وتقدمها بالمقارنة من سجلماسة التي جاء منها ربما حتى بالنسبة للمراكز الثقافية الأخرى.القدوري.المرجع السابق، ص 4.

4 المرجع نفسه، ص 40.

5 العباس ابن ابراهيم السملالي.**الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، تح، عبد الوهاب المنصور، ج2، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414ه-1939م،ص 289.

ففي هذه السنوات الخمسة كان منكبا على التحصيل موليا اهتمامه المعرفي بالدرجة الأولى لعلمي النحو والقفه، فكما يقول"النحو صنعتي وفي الفقه رغبتي" وهي من نصائح والده فكان يتصل بعلماء في هذين العلمين كأبي قاسم بن القاضي الفاسي وأبي العباس أحمد القدومي ومحمد عبد الله المزياني والشريف التلمساني، أما الشيخ أحمد المنجور فقد لازمه في علم الحديث من أجل توسيع مداركه العلمية عمد الفقيه أحمد بن أبي محلي الفيلالي إلى التنقل عبر مختلف المراكز العلمية الكبرى في المدن والقرى والمداشر بحثا عن العلم والعلماء.[1]

فكانت خرجته الأولى إلى البادية المسماة جريجرة (قريقرة) قبيل زمن معركة وادي المخازن، فحفظ بها متن الرسالة الفقهية لابن أبي زيد القيرواني ثم رجع إلى حاضرة فاس وخرج منها ثانيا إلى البادية بعد أن زار ضريح الشيخ أبي يزى ينور ودعا الله عنده فاستجاب الله له حيث لاقاه بشيخه سيدي محمد مبارك الزعري القبيل التشتاوتي الدار، وكان في مدة مقامه بالبادية قد حفظ بها أكثر من ربع مختصر خليل في الفقه المالكي، وفي رحلته الثانية إلى البادية المذكورة فارق علوم الظاهر لكن والده لم يكن راضيا عن هجرته لحاضرة فاس تاركا علوم الظاهر لينشغل عنها بعلوم الباطن في البوادي، وبقي عند شيخه الزعري[2]مدة 3 سنوات فحسب، لا يفارقه ويخدمه وينتفع به حتى فارقه عن إذنه قائلا له"اذهب إلى بلدك سجلماسة، فإنهم ينتفعون بك" وبارك له ودعا الله له.[3]

1 واحيحي.**مهداوية**، المرجع السابق، ص 19.

2 محمد بن مبارك الزعري من مشاهير الأولياء وأكابر الأتقياء. قال تلميذه أبو العباس ابن أبي محلي في كتابه الإصليت أن نسبه زعري وسمعت بعض أقاربه وأصحابه يقولون أن نسبه شريف.محمد حجي.**موسوعة أعلام المغرب**، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1050ه،ص 1093.

3 السملالي.المصدر السابق، ص 289.

ب-أهم شيوخه والعلوم التي درسها عليهم:

الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي محلي.

الشيخ علي الداديس.[1]

الشيخ أبو القاسم الدرعي.[2]

أبو القاسم القاضي الفاسي[3] علمه الأدب والنحو.

أبو العباس أحمد بن عثمان القدومي علمه القراءة والنحو.

أبو عبد الله محمد المزياتي علمه النحو.

الشريف التلمساني [4]علمه النحو (يوم واحد).

---

1 علي بن محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم بن علي بن محمد الدادسي، عالما فاضلا مشاركا متفننا بارعا في علم التنجيم وله في التوقيت نظمان اليواقيت والمعونة قد انتفع الناس بهما.استوطن فاس ثم ارتحل إلى مصر، وبها مات رحمه الله، وأوصى أن تبنى بثلث ماله قبة على الفقهاء المالكية، فقام على بنائها الشيخ يحي الشاوي.وتوفي 1094ه1682م.محمد أحمد الحضينكي. **طبقات الحضينكي**، تق، وتح، أحمد بومزكو، ط.1، الدار البيضاء، 1427ه -2006م، ص 479.

2 أبو قاسم بن عبد الرزاق الدرعي أصله من الساحل الأطلنطي، استقر جد الأسرة عمر بن داود في ترنانة ببلاد درعة، ثم انتقل منها أبو القاسم إلى تمنسلا شمال زاكورة حيث أسس زاويته وكان له رضي الله عنه كلام عال في الطريقة وخلف بعد مولده عمر بن أبي القاسم.المصدر نفسه، ص 162.

3 عبد الرحمن بن أبي القاسم، ابن القاضي الفاسي أبو زيد، الشيخ الأستاذ المقرئ القدوة الصالح العالم العامل.ولد سنة 999ه/1590م وتربى في حجر أبي المحاسن، حفظه القرآن وحبب إليه تلاوته، وصرف العناية إليه، وأحكمه، وأتقن القراءة وطرقها وأحكمها، فصار أستاذ المغرب كله، ومن تأليفه" الفجر الساطع في شرح الدرر اللوامع" ونظم ونثر، وضبط في أحكام الرسم والقراءات كان محبا للصالحين، وله تقاييد في طبقات الصوفية، وله ورع تام، وزهد كامل، ودين متين ولين الجانب، وتواضع للخاص والعام، وأخلاق الكريمة توفي 1082ه/1671م ودفن بروضة سيدي علي الصنهاجي.المصدر نفسه، ص 401.

4 710ه-771ه/1310م-1370م محمد بن أحمد بن علي الإدريسي الحسني، أبو عبد الله العلويني المعروف بالشريف التلمساني: باحث من أعلام المالكية، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب.كان من قرية تسمى العلوين، نشأ بتلمسان، ورحل إلى فاس مع السلطان أبي عنان.ثم نكبه أبو عنان،

الإمام المنجور[1] علمه الحديث (ليلة واحدة).

محمد بن عبد الله المديوني التلمساني [2]علمه التصوف.[3]

ومن أساتذته كذلك محمد بن عبد الرحمان ابن الفقيرة الذي توفي 1635م/1044هـ الذي يقول عن أبي محلي أنه كان نحويا جامعا للقراءات بالطرق العشر[4]. كذلك المرابط الشاذلي الكبير ابن مبارك، حيث قال الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد التواتي رحمه الله في رسالته التي سماها "مقام التجلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي" وهي رسالة طويلة ذكر فيها أن أبو العباس أحمد بن عبد الله أبو محلي كان فقيها صرفا ثم انتحل طريق التصوف[5]. ثم لازم الشيخ محمد بن مبارك الزعري مدة 18 عاما.[6]

ج- تلاميذه:

واعتقله شهرا، وأطلقه سنة 756ه/1555م وعاد إلى تلمسان، وكان قد استولى عليها أبو حمو(موسى بن يوسف)، فبنا له مدرسة أقام يدرس فيها إلى أن توفي.من كتبه "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع والأصول" كتب عليه عبد الحميد ابن باديس شرحا مختصرا حال تدريسه له، ولم يطبعه، وشرح جمل الخونجي وكان لسان الدين ابن الخطيب كلما ألف كتاب بعثه إليه وعرضه عليه.للونشريسي جزء في ترجمته سماه (القول المنيق في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف). الزركلي. المرجع السابق، ص 171.

1 926ه-995ه/ 1560م-1587م أحمد بن علي بن عبد الرحمن، أبو العباس المنجور فقيه مغربي، له علم بالأدب. أصله من مكناسة، وتوفي بفاس. من كتبه " شرح المنهج المنتخب في فقه المالكية" يعرف بشرح المنجور، وله كذلك " مراقي المجد لأيات السعد " في خزانة الرباط رقمها 712.وله «حاشية على السنوسية الكبرى" في الرباط رقمها 2249 في العقائد وفهرسة في أسماء شيوخه وشيوخهم، أجاز بها أمير المؤمنين أبا العباس المنصور أحمد بن محمد الشيخ بن الشريف الحسني.المرجع نفسه، ص 170.

2 محمد بن أبي مدين التلمساني، أخذ عن الإمام السنوسي وقال عنه أبو عبد الله ابن العباس: شيخنا كان علامة فاضلا، أحي علوم الشريعة، علم الأعلام، حائز قصب السبق معقولا منقولا سيما علم الكلام.المرجع نفسه، ص 250.

3 القدوري. المرجع السابق، ص 41.

4 حجي.**الحركة الفكرية**، المرجع السابق، ص 481.

5 الوفراني.المصدر السابق، ص 203.

6 أبو العباس أحمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلي السجلماسي العباسي.**مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس النكوس** السفلة المنخدعة، الخزانة العامة، الرباط، مخطوط رقم 192، ص ص114-115.

الشيخ عبد الكريم بن محمد التواتي الذي قال فيه "من الأشياخ الذين لهم الحال الباهر الجامعين بين علمي الظاهر والباطن جامع شتات الفضائل، لسان العصر في البلاغة والبراعة رافع لواء المجد صاحب الإجابات المعروف بالبركات التي ظهرت على مواهب المنة في إتباع جادة السنة، العلم الخافق على رؤوس الخلائق سيدي أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله القاضي بن أبي محلي، وقال إنه ترك كتاب جامعا في الفقه سماه «الأنيق" كما ناقش في كتابه الإصليت قضايا ومسائل فقهية متعددة[1]. كما كان أبي محلي يعقد دروسا بالمسجد الرئيسي مع سعيد بن إبراهيم قدورة.[2]

وكانت هذه الدروس تختلف على ما كان يقع في القرويين، فكان قدورة يمسك بيده نسخة البخاري وعليها سنده المتصل بمحدثي تلمسان، ويمسك ابن أبي محلي أخرى بسنده عن الفجيجين، و لم تنقطع الصلة بينهما إلى أن قامت الثورة فشرق أحدهما وغرب أحدهما[3].

د-رحلاته العلمية:

1-الحجة الأولى:

كانت عام 1002هـ/1594م يقول فكانت مع الطريق الصعاليك لفقد الركب يومئذ مع الهجوم الحال، وقوة السبب القادم بالعزم في أيام الترحال، دون شروط الوجوب، وقد يكره ذلك أو يمنع لولا العذر القائم عند القائل به في الحال، فخرجت من بلدي سجلماسة مقهورا مضطرا عام 1000هـ/1592م ثالث ثلاثة من خاصة الرفقاء لا سوى ثم اجتزت بوادي الساورة، فتعرض لي شيخهم ابن شمس الدين العباسي كما سبق أيده الله فصاهرني بابنته، ثم مضيت بعد إقامة ثلاثة أشهر أو نحوها عنهم على طريق فجيج (فقيق) صاعدا، وأقمت بها 3 أيام فقط، ثم ارتحلنا مشرقين

1 برشان.المرجع السابق، ص 106.

2 ت.1066ه-1656م، تونسي الأصل جزائري النشأة، تخرج على يد علماء تلمسان متمكنا في المنطق والكلام، مشاركا في الحديث والفقه واللغة. جاء إلى بني عباس عام 1015ه 1606م وأقام بها يدرس مدة غير قصيرة وخلال شهر رمضان من نفس العام عقد هو وابن أبي محلي بالمسجد الرئسي دروسا حديثية مشتركة على غرار ما كان يقع في القرويين.حجي.**الحركة الفكرية**، المرجع السابق، ص 627.

3المرجع نفسه، ص629.

على القرارة مع بوسمغون والشلالة ووادي ربا والكراكدة والغاسول والخضرا وعين ماضي وتاجموت والأغواط ودمد وعمورة.[1]

حتى وردنا وادي نبي الله خالد -عليه السلام-الذي ذكره في الكشاف الزمخشري وأن اسمه حنطلة وأظنه من عبس وقبره معروف مشهور هنالك.ثم دخلت الزاب، وأقمت بحضرة بسكرة 20 يوما، وبها اجتمعت بالفقيه ابن عبد الرحمان دباش كما تقدم أيده الله في جملة أعيان البلد وخيارها، وقد أحسنوا أحسن الله إليهم بالحسن وزيادة.[2]

وانتهينا لقبر السيد عقبة بن نافع الصحابي -رضي الله عنه- ثم ارتحلنا مشرقين في بلاد الجريد حتى انتهينا لعمالة توزر، وما دخلتها أعني المدينة، وبتنا في زاوية الوالي المشهور سيدي بوهلال السدادي نفع الله به، وخضنا بعده السبخة الطويلة بينه وبين نفراوة فدخلنا قراها، ثم ارتحلنا عامدين ناحية قابس فعرض لنا لصوص، فلقينا منهم محنة بازاء قصر الرمان، ومابلغنا حامة قابس إلا عن مشقة عظيمة وفي خوف مفرط من القائم السائح[3]، مع الترك والأعراب لأنه يومئذ بقيد الحياة، والأرض الإفريقية بل القابسية منه في هول وهرج.فكفى الله شرهم فدخلنا قابس، ثم دخلنا الساحل، ومررنا بزاوية الشيخ يحى بن حمدون وما لقيه بنفسه، وركبنا البحر لجزيرة جربة، فدخلناها وأقمنا بها قليلا في شدة وكذا، ثم رجعنا للبر قاصدين طرابلس ونحن في غاية القلة والجوع والمحنة، قد لا نقتات سوى ما تنبت الأرض أحيانا غير يسيرة. فمررنا بساحة البلقاء، وهي مدينة طرابلس وما دخلناها من الترك وأهلها لما فعله بهم القائم عبد العزيز خديم السائح، فحوسب به كل المغاربة يومئذ، حتى البراء منهم وإثم ذلك على فاعله، فقصدنا قرية تاجوراء وأقمنا بها أياما،

1هذه المنازل المذكورة بعد فقيق كلها اليوم ضمن الصحراء الجزائرية.حمادي.المرجع السابق، ص 116.

2 المرجع نفسه، ص 117.

3 كانت هذه الشخصية في زمان أحمد بن أبي محلي قائما بطرابلس الغرب(لبيا حاليا) مغربي الأصل والذي اسمه عبد العزيز على الحقيقة، وقد انتحل اسم يحي لأنه ادعى أنه يحي المبشر به في الأثار الذي يمهد لدعوة الإمام المهدي المنتظر والمسمى فيها يحي بن أحمد أو يحي بن يحي، فاعتز به الناس وتبعوه في دعواه حتى فتك بجم غفير وهو أي عبد العزيز المذكور الذي يمهد له بين يديه البلاد،فما زال في دعواه الكاذبة حتى ظفر به الترك فقتلوه وجاء صاحبه محمد السائح الذكور من المشرق بعدما حج مختفيا يدعي أنه فاطمي، وقام معه فريق من عرب إفريقية.المرجع نفسه، ص 117.

ثم قصدنا ساحل مسراتة، فزرنا به قبر الشيخ زروق –رضي الله عنه– بل أقمنا في ساحل طرابلس نحو من 3 أشهر، وفي تورغا شهرا أو شهرين.[1]

ثم دخلنا بادية برقة في الصيف ولا عمارة بها يومئذ، فأصابنا عطش أشرفنا منه على الموت حتى لقد شرب بعضنا أوكلنا ماء البحر الزعاق، فتفطر بطنه دما وذلك دون بير حسان قبل دخولنا بادية سرت، فرجعنا القهقرى لما جهلنا المورد، وما بلغنا مورد الهايشة، حتى تفرق شمل الجماعة من العطش، فأقمنا عليه ثلاثة أيام حتى رجعت إلينا أرواحنا، فعدنا لنا ورغا أيضا، ثم استعددنا ثانيا في بضع وعشرين صعلوكا، فدخلنا برقة، ففرغ علينا الزاد في الغربية منها حتى كنا لا نجد إلا النبق وعروق الأرض.ثم فرغ الكل وأكلت الجلود وحب الغردق، فما انتهنيا للحبل الأخضر إلا عن مشقة ما رأيت قط مثلها في عمري، وألفينا أهله في مسبغة وضيق عيش فقوي النصب، وعز السبب، وفرغت الحيلة.

وتنقلنا في حلة العرب السعادي–عمرهم الله–، فتلقونا على عادتهم مع الحجاج بما يكافؤهم– الله– على ما هم فيه من أكل الشجر، فقد كانوا يذبحون الشاة لنا، فإذا رمي الحاج بالعظم منها، تلقفه بعضهم فيدقه ليأكله.وهذا من غاية الجود مع القلة والشدة.ثم دخلنا أيضا برقة الشرقية بلا زاد كاف، فلاقينا بها من الجوع الطائل أشد مما مضى بأضعاف كثيرة حتى فر عني كل صعلوك من 20 إلا سبعة منهم، ثم فروا أيضا و لم يبق معي إلا إثنان وهما صاحباي اللذان خرجا معي من بلدي أحدهما أحمد بن محمد الرافعي، والأخر مبارك بن محمد القداري–جزاهما الله–عني خيرا لما عجزت أنا عن مرافقة الصحاح لضعفي ونهض القادر وتركني خوف الموت وهو معذور، فقلت لصاحبي.[2]

1 المرجع نفسه، ص 118.

2 " أمضيا عني، فلم تموتان بموتي وأنتما تقدران على خروج هذه البيداء مع الصعاليك الصحاح، فاتركاني عند هذه البير وقد عذرتكما". فأبيا ذلك رضي الله عنهما وقالا"نموت بموتك ونحيا بحياتك" فبقيا معي لنموت جميعا هنالك.المرجع نفسه، ص 119.

ثم درجنا قليلا بقية يوم من الأيام، فصادفنا أعربيا يسلخ شاة وأظنه لصا، فأكرمنا منها – أكرمه الله– بحسن الخاتمة، وقد مررنا على العقبة الكبيرة ولا أنيس بها ولا نعيرها إلا ما يفيد، حتى لقد استضفنا هنالك أعرابا، فأبوا أن يضيفونا، فسألتهم "للحجاج حتى كلبا يأكلونه" لشدة الضرورة كالمتهم بهم، فامتنعوا فأيقنا بالموت لولا –لطفه تعالى– إذ سرنا بتلك الحالة إلى العقبة الصغيرة التي بينها وبين إسكندرية نحو من 6 أيام، لقينا بها عرب السلالمة فقوتونا حتى برئنا عن مدة في بيوتهم، فدخلنا حضرة إسكندرية، وأقمنا بها أياما في ضعف مفرط، ثم تحولنا لرشيد وركبنا منه النيل إلى القاهرة، فدخلتها وأنا مريض عريان مقل ما علي إلا ستر العورة ونحوها، فدخلت رواق المغاربة وأنا مجهول في غاية الخمول و الضيعة، فبقيت نحوا من شهرين عليلا جائعا، لا حيلة لي و لم أتعلق بأحد سواه تعالى، ولو تعلقت به ما التفت إلي، والقمل يتناثر من برقعتي، ولا عظايا غير الحصير، فقيض –الله– لي صفيا في –ذاته تعالى– وهو أبو الحسن المحسن بالفقير والغريب علي الأندلسي، أحسن –الله– إليه في الدارين. فكان يعالجني حتى برئت أو كدت.فأخذت كتابا من بعض الحنابلة أنسخه بالأجرة وهو القاموس، فبذلك أتعلل، وما أغنى عني شيئا إلى أن نبه الله بعض المغاربة القاطنين بمصر، فسعوا بخير، وساعدهم عليه عبد الله عباس أغا، وما شعرت به يومئذ أنه منه، فأفاض أفاض الله عليه شيئا من رحماه.فاسترحت من الكد، فأقمت بالأزهر نحوا من 5 أشهر لما فاتني الحج تلك السنة، حتى أطلني رجبها.وفي هذه المدة قرأت على الشيخ سالم السنهوري[1]، والشيخ طه البحيري من المالكية رضي الله عنهما ما كتب لي كما تقدم، مع الشيخ أحمد الكلبي[2]

1 علي بن عبد الله بن علي الأزهري السنهوري، نور الدين: فقيه مالكي مصري. اشتهر بالفقه والعربية والقراءات ومات وهو كفيف له على مختصر خليل في الفقه، لم يكمل، وشرحان للأجرومية في النحو وثانيهما مخطوط في الظاهرية رقمه1743. الزركلي.المرجع السابق، ص 121.

2 360ه-981م أحمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي: أمير صقلية كان أبوه يستخلفه عليها ويشركه معه في التدبير والحكم والحروب، ثم وليها بعد وفاة أبيه (سنة 320ه/932م) واجتاز البحر إلى قلورية في شرقي صقلية، فأحرق في ريو أسطول الروم، وأرسل إلى بلاط الخليفة المعز (في المهدية) عددا من كبار الأسرى.ثم استدعاه المعز، حين زحف لتملك البلاد المصرية والشامية، فقدمه على جيوش البحر، وكانت أساطيله عظيمة، فغادر صقلية في أواخر شوال سنة 309ه/وعاجلته فاته بعد الرحيل بالأسطول، بساحل طرابلس.المرجع نفسه، ص115.

وغيره أيده الله، وكذا العلامة الشيخ حسن الطنابي في هذه المدة حصلت أوائل التعارف معه، ثم كملت الفائدة بعد المقفل من الحج تقبله الله.

فلما أطلني شهر رجب عام واحد أو إثنين بعد 1000هـ/ 1593م أو1002هـ/ 1594م، زودني من ذكر، فركبت بحر سويس مع بعض القدسين قصدنا المدينة المشرفة قبل مكة -أعزهما الله-، فصمنا بها رمضان كله، وفي هذه المدة اجتمعت بالألف الصديق التقى الحقيق أبي يحى الفاسي -رحمه الله-، وفي ضيافته كنت تلك المدة كلها. ثم استهل شوال، فقصدنا مكة محرمين من ذي الحليفة بعمرة ثم تمنعت لأنها في أشهر الحج اليمين اقتضنا. فأقمت بها نحوا من شهر، وفيه اجتمعت باليد خشي من بخارى على نخبة بن حجر كما فرط التعريف به في المقالة الثانية من بابها، فجاء الركب الموسوي[1] من المغرب، فعدت معه لمصر ثم للديار المغربية إلى وادي الساورة وسجلماسة، وما زلت بينهما أتردد حتى تحولت بجميع عيالي للوادي المذكور وأقمت به إلى عام 1014هـ/ 1605م[2].

2- صعوبات حجته الأولى:

ألح ابن أبي محلي على الصعوبات والمتاعب التي واجهته في رحلته الأولى المتمثلة في قلة الزاد بالإضافة إلى عنف الطبيعة، فإن بعض المناطق العثمانية التي مر منها كانت تعاني من اضطرابات اجتماعية ومن ثورات كتلك التي قادها السائح بطرابلس، وقد ادعى هذا الثائر أنه المهدي المنتظر، بل أشار ابن أبي محلي أنه كان مساندا من طرف مسيحي مالطة.كان لقيام السائح هذا ذوي كبير، ومما يؤكد ذلك خوف ابن أبي محلي أن يتهم أنه من أصحابه لأن الأتراك يقولون[3].

---

1 نسبة إلى أمير الركب المحمدي المغربي وهو الحاج أبو عمران موسى بن المعروف أو معروف الشريف الذي كان يقود ركب الحج الفاسي والمراكشي وتلك البلاد زمن السعديين منذ فترة السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي حمادي.المرجع السابق، ص 122.

2 المرجع نفسه، ص 122.

3" وما بلغنا قابس إلا عن مشقة عظيمة وفي خوف مفرط من القائم السائح مع الترك والأعراب لأنه يومئذ بقيد الحياة والأرض الإفريقية من القابسية في هول وهرج، فمررنا ساحة البلقاء وهي مدينة طرابلس وما دخلناها من الترك وأصلها لما فعله بهم القائم عبد العزيز خدم السائح المذكور فحسب به كل المغاربة يومئذ حتى البراء منهم وأتم ذلك على فاعله".فالمعروف أن الأتراك قد عانوا في مطلع القرن 11ه من ويلات

3- حجته الثانية:

فكان قد عزم السفر فيها أولا في شهر ربيع الأول عام 1012هـ موافق نحو شهر أوت 1603م كما أشار إلى ذلك في مختتم كتابه القسطاس المستقيم على ما سيأتي إلى بسطه في محله، إلا أنه مرض مرضا أقعده نحو 8 أشهر طريح الفراش بداره بني عباس الساورية بين موت وحياة.

اتهم في مرضه هذا خصمه الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي الحمياني[1] بوضعه السم له وتدبير مكيدة لقتله لما علم منه العداوة.ثم لما قويت عزيمة صاحبنا عندما خف عنه بعض مرضه كما سيأتي، عزم الحجة الثانية وهي التي كان فيها أمير الركب يرسم الحج كما سيأتي معنا ذكره في محله لاحقا وكان مبدؤها ذهابا عام 1013هـ/ 1604م حيث خرج من داره ببني عباس الساورية بتاريخ يوم 20 محرم 1013هـ موافق نحو 18 جوان 1604م ثم أناخ بمقاطعة تشابيت من بلاد توات بتاريخ 28 محرم 1013هـ موافق نحو 26 جوان 1604م ثم نحو بلاد تقورارين فأقام بها نحوا من 4 أشهر التقى فيها بمشايخ البلاد[2].

كما وقعت له النفرة والعداوة الأولى مع صاحبه القديم القاضي بقورارة محمد عبد الله بن عبد الكريم المريني الوطاسي[3] بسبب دفاعه عن شيخه وصهره عبد القادر السماحي، ثم خرج منها بتاريخ يوم 24 أو6 جمادى الأولى 1013هـ موافق نحو 18 أو 20 أكتوبر 1604م.

الثورات وفي ولايات كثيرة، لكن الجديد هنا هو ضبطنا لحالة بعينها بفضل شهادة ابن أبي محلي، والذي انفرد هنا هو مساهمة المغاربة في هذه الثورة، وفي طرابلس أو بالقرب منها، فعبد العزيز هذا من قواد هذه الثورة لأنه خديم السائح.القدوري.المرجع السابق، ص 93.

1 ولد سنة 1544م-951ه ويدعى ويعرف اختصارا بسيدي الشيخ، فقيه وأديب مغاربي مؤسس الزاوية التعليمة لطريقة الشيخية، المنتشرة في المناطق الجنوبية الغربية من الجزائر وفي المناطق الشرقية من المغرب.ولد بنواحي الشلالة الظهرانية ناحية العين الصفراء وترعرع في بيت علم، فقد اشتهر أبوه وجده وأسلافه بجهادهم وتصوفهم فجده هو سليمان بن أبي سماحة كان من العلماء، أما أبوه فهو محمد بن سليمان السماحي، فأشار ابن أبي محلي في المهراس إلى أنه من نسل فاطمة الزهراء رضي الله عنها. الزر كلي.المرجع السابق، ص 133.

2 حمادي.المرجع السابق، ص 113.

3 أحمد بن محمد الوطاسي المعروف بالبرتقالي ابن محمد الشيخ بن أبي زكرياء يحي بن زيان الوطاسي آخر ملوك مدينة فاس من بني وطاس بويع يوم خلع عمه أبي حسون سنة 932ه ، حيث دخل في معركة مع أبو العباس الأعرج بموضع يسمى إنماي في ذي القعدة سنة 935ه.و تمكن من دخوله فاس وأعلن نفسه سلطانا سنة956ه - 1549م.السملالي.المصدر السابق، ص 229.

فواصل مسار رحلته نحو الصحراء الشرقية الجزائرية الحالية ثم بلاد تونس فلبيا الحالية فمصر فالحجاز على نحو ما ذكره من المنازل أبو سالم العياشي[1] في رحلته الحجية "ماء الموائد" سالفة الذكر إذ سلك هو الأخر الطريق المار ببلاد توات فلينظر من رحلته، ثم عاد إلى داره ببني عباس عبر طريق ذهابه فانتهى به المسير سنة 1014هـ/ 1605م[2].

وفي هذه الحجة اشتهر جدا عند المشارقة لاسيما عندما ترك فيهم كتابه "الوضاح لكل متمشدق فضاح"، وبعده القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من السقيم، وهما في علم التصوف والحقائق والمعارف وقد أخذ معه في حجته الثانية كتابه "القسطاس المستقيم " وتركه عند الأزاهرة فأعجبوا به إعجابا، وكتبوا منه نسخا كثيرة،فبات قدر صاحبنا ببلاد مصر وعند الأزاهرة[3].

فلم يعد من حجته هذه الثانية والأخيرة إلى وادي الساورة حتى انهالت عليه الرسائل والكتب من مصر ومن المغرب من السادات العلماء يطلبون منه الدعاء ونيل البركة ويصفونه بالقبطانية وشيخ الوقت والمسك المربي، بينما حسده بعض العلماء الأزهر بمصر على مقامه.

---

1 أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي توفي سنة 1090ه/1679م.نسبة لآل عياش، قبيلة من البربر تتاخم أحواز سجلماسة، ولد سنة1037ه/1627م.وقرأ القرآن في البداية على والده، ثم اقبل على شيوخ عصره يأخذ عنهم مختلف العلوم بمراكش وفاس ودرعة.وجلس إلى عبد القادر الفاسي فسمع عليه تأليف كثيرة في سائر الفنون، كالفقه والحديث والتفسير والنحو والبيان، والتصوف، وإلى أبي بكر السكتاني، وأبي العباس الآبار، ومحمد ميارة شارح التحفة، وانتفع في الطريق بالشيخ محمد بن ناصر.رحل غير مرة إلى حج كانت الأولى سنة 1059ه/1649م فلقى المشايخ واستجازهم.كم رحل مرة ثانية سنة 1064ه/1653م ونزل المدينة المشرفة جاورا فأقرأ كثيرا من العلوم.عرف عنه نشاط ملحوظ في الكتابة الأدبية وقول الشعر.له مؤلفات عديدة منها فهرسته الكبرى "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر" وفهرسته الصغرى "إتحاف الأحلاء بأسانيد الأجلاء". الترغي. المرجع السابق، ص 123.

2 حمادي. المرجع السابق، ص 113.

3 المرجع نفسه ، ص 123.

ونالوا منه في حضرة السلطان، وقالوا في كتابيه الفضاح والقسطاس ما لا يليق بمقامهما، وذلك لما كان قد أهمله فيهما وبالأخص الوضاح من القوافي والعروض حيث لم يكن يومها وباعترافه يتقن فن العروض، وبسببه صار هؤلاء الجهال يضحكون من تأليف المغاربة، فرد عليهم صاحبنا قولهم في الإصليت على ما سيأتي في محله لاحقا إن -شاء الله تعالى-[1].

ظروف السفر في الرحلة الثانية كانت أهون بقوله" فما لقينا -بحمد الله- مع قلتنا إلا خيرا في جميع الأحوال كلها والبلدان" كما نظم في هذه الرحلة قصيدة شعرية مطلعها[2].

رابعا- صفـــاتـــه:

أحمد ابن أبي محلي فقيه مناظر وصوفي ثائر في المغرب الأقصى وكان يسميه أهل المغرب بالعناد (الفنان) واللدود في الخصام، وكان طموحا تسرب إلى ذهنه وساوس الرياسة وحب الملك فلبس لأجله لبوس النسك والتظاهر بالحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ادعى أنه المهدي المنتظر ووقع في أذهان الرعاع والمغفلين[3].

فكان من كبار المصلحين الدينيين في القرن 11ه لسعة علمه وثقوب ذهنه وثبات جنانه وذلاقة لسانه وسلاسة أسلوب ومطاوعة قلمه[4]. حيث كان مهذبا جدا، بسيط، يضع على رأسه عمامة ويرتدي قميصا من نسيج هولندي مع حائك من الحرير المخطط، يتقلد سيفا بحمالة جلدية بسيطة وإنه رجل متعلم وحكيم، منجم متمكن، ومتضلع في أمور السياسة.استمال القائد عزوز[5] الذي يعتبر المستشار الرئيسي للبلد، كما استمال الشيخ الزينبي والشيخ الجلاوي وعديدا من

1 المرجع نفسه، ص 112-115.

2 من حامل العذراء في الهودج الخود إلى الأشراف و العالم المهد.القدوري.المرجع السابق، ص 94.

3 بن منصور.المرجع السابق، ص 286،291،292.

4 السلاوي. **الاستقصاء**،ج6، المرجع السابق، ص 286.

5 هو عبد العزيز بن سعيد المزوار الوزكيتي، المشهور بالقائد عزوز أو ولد مولات الناس.حجي.**موسوعة أعلام المغرب**، ص 145.

الأولياء وشخصيات مهمة، عندما قدم إلى مراكش تزوج أرملة بوفارس[1].ينظم أشعار في هجاء زيدان والتنقيص من أعماله، ويؤكد أن المصائب ستلاحقه إلى أن يبقى وينتهي عقبه[2].

قال: عنه الشيخ أبو العباس أحمد التواتي في رسالته التي سماها مقالة " التجلي والتخلي من صحبة الشيخ ابن أبي محلي":" كان الفقيه أحمد بن عبد الله أبو محلي في أولى أمره فقيها ثم انتحل طريق التصوف مدة حتى وقع على بعض الأحوال الربانية، ولاحت عليه مخايل الولاية الرحمانية فذاع صيته وكثر أتباعه" وقال فيه تلميذه الشيخ عبد الكريم بن محمد التواتي:"من الأشياخ الذين لهم الحال الباهر الجامعين بين علمي الظاهر والباطن جامع شتات الفضائل، لسان العصر في البلاغة والبراعة رافع لواء المجد صاحب الإجابات المعروف بالبركات[3].

حيث وصفه أعداؤه بالعديد من الأوصاف كالغاضب، والساحر والدجال، وصاحب التيس، وأنه من أهل العزائم والاستخدامات، بل هناك من نعته بصاحب فتنة، والمتوحش في تصرفاته[4]

خامسا– تصوف ابن أبي محلي: (987هـ– 1001هـ/1579م- 1594م).

قبيل معركة وادي المخازن وأثناءها في اتخاذه قرار الانعزال، نريد أن نؤكدها على الجوانب النفسية التي–ربما–كانت وراء قراره إما بطريقة شعورية أو لاشعورية حيث كان لوفاة أخيه وقع كبير على نفسه لأنه فقد فيه المرشد والحامي في مدينة أدهشه، كما أن الخوف من محاصرة النصارى للمدينة أولا ثم شعوره بالندم ثانيا جعلاه يتخذ هذا القرار الذي تسبب له في مشاكل

1 هو عبد الله أبو فارس إبن السلطان أحمد المنصور بويع في مراكش سنة 1603م/1011ه و لم يستقم له أمر إلى إن قتل بفاس سنة 1609م/1016ه.المرجع نفسه، ص 145.

2 المرجع نفسه، ص 146.

3 برشان.المرجع السابق، ص 99.

4 واحيحي.**سجلماسة/ تافيلالت**،المرجع السابق، ص 79.

3 القدوري.المرجع السابق، ص 43.

كبيرة مع أبيه كما أنه وجد سندا في الشيخ أبي عبد الله محمد بن مبارك الزعري في وقت كان يبحث فيه عن الاطمئنان النفسي.

عرفت حياة ابن أبي محلي منعطفا جديدا مباشرة بعد رجوعه من الحجة الأولى لأن –الله – قد شفاه من الأحول من بعد ما "شرب ماء زمزم" لذا لجأ إلى إثبات النفوذ في وادي الساورة[1].

فقد سلك أبو محلي طريق التصوف وصحب الشيخ بن مبارك الزعري المتقدم، وبقى عنده في تستاوت نحو ثماني عشرة سنة.وكانت تعتريه عند شيخه أحوال، فيصح قائلا"أنا السلطان ! أنا السلطان !" فيقول له الشيخ " إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا "وفي يوم أخر وقع للفقراء، سماع فتحرك يقول :أنا السلطان ! أنا السلطان ! فتحرك فقير أخر في ناحية وجعل يقول ثلاث سنين غير ربع ! ثلاث سنين غير ربع ! وهذه مدة ملكه. وقد رمزوا له بذلك فقالوا : قام طيشا ومات كبشا. أي (قام) في تسعة عشر بعد الألف ومات في اثنين وعشرين بعدها[2].

وهكذا تهذبت نفسه وانكسر جناحه على الجانب الصوفي وقال ابن أبي محلي في شيخه "أنقذني من بحر هواي المظل ودلني عليه برحمته من أصحاب الصراط السوي فكان ابن أبي محلي من أتباع الطريقة الحرارية الجز ولية الشاذلية[3].

كل المصادر التي تحدثت عن الشيخ ابن أبي محلي تشير إليه بالفقه والعالم وقد نال احترام عدد لا يحصى من العلماء الذين عاصروه أو التلاميذ اللذين أخذوا عنه وتتلمذوا عليه وما عابوا عليه إلا ادعائه المهداوية[4]، قال فيه الشيخ الفقه أبو العباس أحمد التواتي في رسالته التي سماها مقالة

4 حجي.**الزاوية الدلائية** ،المرجع السابق، ص 143.

2 حجي.**موسوعة أعلام المغرب**، المرجع السابق، ص 120.

3 برشان.المرجع السابق، ص 99.

4 المهداوية فكرة قديمة شيعية قديمة تطورت عن عقيدة اختفاء الأئمة عندهم، وعودة الإمام المختفي – الذي سمى فيما بعد بالمهدي المنتظر – ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا، استغلت استغلالا سياسيا قصد الاستحواذ على السلطة عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ما حصل مع ابن أبي محلي.حجي محمد.**الحركة الفكرية بالمغرب فيعهد السعديين**،ج1، مطبوعات فضالة، الدار البيضاء، المغرب، 1398ه – 1978م، ص 227.

التجلي والتخلي من صحبة الشيخ ابن أبي محلي وهي رسالة مسجعة : كان الفقه احمد بن عبد الله أبو محلي في أولي أمره فقيها ثم انتحل طريق التصوف مدة حتى وقع على بعض الأحوال الربانية.

ولاحت عليه مخايل الولاية الرحمانية فانحشر الناس لزيارته أفواجا وذاع صيته في البلاد وكثر أتباعه.فقصدوه فرادي وأزواجا فلما سمعت ذلك ذهبت إليه وجلست عنده مدة إلى أن وجدته يشير إلى نفسه أنه المهدي المعلوم فتركته[1].

وقال فيه تلميذه الشيخ عبد الكريم بن محمد التواتي " من الأشياخ اللذين لهم الحال الباهر الجامعين بين علمي الظاهر والباطن جامع شتات الفضائل، لسان العصر في البلاغة والبراعة رافع لواء المجد صاحب الإجابات المعروف بالبركات، التي ظهرت على مواهب المنة في إتباع جادة السنة، العلم الخافق على رؤوس الخلائق سيدي أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلي، وبالجملة فهو أعجوبة الزمان في الحال الناهض والعلم الفائض، وممن انقادت له المثلات[2].

كان ابن محلي ينتمي إلى النخبة ويتنقل بين قصور تافيلالت والساورة واشتهر بالتصوف وكانت مساهماته كثيرة ومتنوعة في المؤسسات المحلية التي ملأت الفراغ الذي خلفه غياب المركز الذي أصبح عاجزا عن حماية مؤسساته وعن القيام بواجباته[3].

بعد أن قام أبو محلي مدة في الزاوية الدلائية، اتجه إلى وادي الساورة في الصحراء وادعى أنه المهدي المنتظر، وبدأ يكاتب رؤساء القبائل بأمرهم بالتمسك بالدين والسنة، وينهاهم عن المنكرات والبدع[4].

فقد أعلن ثورته المهداوية بوادي الساورة بالصحراء الجزائرية حاليا في الشهور الأولى من سنة 1020هـ/ 1611م[1]، كان معاشرا في أول أمره أبي بكر الدلائي وكان البلد قد كثر فيه المناكر

1 الوفراني.المصدر السابق، ص 203.

2 برشان.المرجع السابق، ص 100.

3 القدوري.المرجع السابق، ص 59.

4 حجي.**الزاوية الدلائية**، المرجع السابق، ص 143.

وشاعت فقال له أبي بكر الدلائي ذات ليلة : هل لك في أن تخرج غدا إلى الناس فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فلم يسعفه لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر، فلما أصبحا خرجا فأما ابن أبي بكر فانطلق إلى ناحية النهر يغسل ثيابه ويزيل شيعته بالحلق، وأقام صلاته وأورده في أوقاتها.وأما ابن أبي محلي فتقدم لما هم به من حسنة فوقع في شر خصام أداه إلى فوات الصلاة عن الوقت و لم يحصل على طائل، فلما اجتمعا بالليل قال له ابن أبي بكر :

فأما أنا فقد قضيت مآربي وحفظت ديني وانقلبت في سلامة وصفاء، ومن أتى منكرا فالله حسيبه، أو نحو هذا وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه ! تم لم يلبث إلى أن ذهب إلى بلاد القبلة ودعا لنفسه وادعى أنه المهدي المنتظر، وأنه بصدد الجهاد فاستخف قلوب العوام[2].

ثم إن ما ادعاه من كونه المهدي المنتظر هي دعوى ابتلى بها كثير من ضعفه العقول وذكر الشيخ اليوسي أن هذه الدعوة أي الدعوة الفاطمية، بلوى قديمة كما أشار إلى ذلك بعض الأئمة وكان الشيعة ادعوا ذلك لزيد بن علي[3].

فقد اتخذ ابن أبي محلي المهداوية كمطية إيديولوجية لثورته من أجل تدعيم الحركة أكثر من الناحية الشرعية عن طريق الأخذ والمناداة بالمهداوية وبالخلافة الإسلامية "لأن الخلافة معقودة له (أي المهدي)...ليتصرف في الملك والملكوت"، كما أعطى معلومات كثيرة عن أوصاف المهدي المنتظر، و كل هذه الأوصاف تنطبق عليه إلى درجة جعلت العلماء يستفزونه فيما يقول وحينما شعر بأنه يستطع أن يعلن عنها مجيبا "إن قيل كلامك يحوم كله على مقام المهدي المشهور عند العامة بالفاطمي...فإن كنت حقا فأصدع بما تؤمر وبشرنا تشكر ... الجواب : فأما إني شاك الآن في نفسي أوطان فلا يجوز إدعاء ذلك، فيجب الحذر والوجل، وإن كنت مستقيما فيمنعني الإذن الخاص، كيف شاد ربنا وإن كنت هو بل إياه –والله أعلم– بغيبه وليس إلا عليه الاعتماد...

1 الإدريسي عبد الله حمادي.**الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات**، ج1، ط4، دار الكتاب الملكي، الجزائر، 2013م،ص 212 .

2 اليوسي الحسن.**المحاضرات في الأدب واللغة**، تح، وتق، محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج1، ط.2، منشورات الجامعة المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1402ه 1982م، ص 97.

3 القدوري.المرجع السابق، 61.

وبالجملة والأمر محتمل جدا"، لم يكتف بالمهداوية بل لجأ من جهة ثانية إلى إعطاء إشارات حول الخلافة العباسية فما هو المقصود الذي كان يهدف إليه من وقوعه عند الخلافة العباسية؟.

ادعى ابن أبي محلي النسب العباسي ووضح الأسباب التي منعت من انتشار هذا النسب في المغرب، وأشار أثناء حديثه عن المهدي بأنه ربما يكون من ذرية العباس، بل ركز على استمرار الحكم والخلافة في ذرية العباس وأن "دول بني العباس لا تنقرض بعد ظهوره [1].

لقد تحدث ابن أبي محلي عن المهدي المنتظر في جميع كتاباته بمناسبة أو بدونها داعيا إياه وملحا عليه في القيام بدوره المنتظر في تغير المناكر المتفشية ونشر العدل بين الناس، وهو يهيئ الأمر يتجاوز دوره كمصلح ديني بتقديم نفسه مهديا منتظر أو صاحب دعوى في عبارات ملتوية كان دائما يتعمد إخفاء الصريح منها، محبذا في ذلك الطموح الذي راوده منذ الصغر بحيث كان يقول دائما لا يرضى أن يكون تابعا بل متبوعا[2].

أما فيما يخص طرق دعايته فقد اختلفت باختلاف الخاطب،لقد سهر في البداية على إقناع الأعيان والعلماء والفقهاء مركزا في مراسلاته على الحجج الدينية وعلى مصلحة الأمة التي تفرض الاستشارة "فالأمة لا تجتمع على ظلال بخلاف فئة منها أو بلدة " وتوجد مؤلفات ومراسلات كثيرة في هذا شأن، ولقد انتقد بشدة الوضعية المتأزمة، وحمل المسؤولية فيها للمخزن من جهة وللعلماء والقضاة اللذين تخلوا عن واجباتهم [3]

1 المرجع نفسه، ص 62.

2 واحيحي. **مهداوية** ، المرجع السابق، ص 13.

3 القدوري. المرجع السابق، ص 64.

سادسا– جهاد أحمد بن أبي محلي:

أ: جذور الثورة : (1019 هـ–1022هـ/ 1610م-1613م)

1– توالي القحط على البلاد أو ظرفية الأزمة :

ظاهرة الأزمات وتكررها كثيرة في تاريخ المغرب،كانت معاناة المغاربة منها خلال القرن 10 هـ/ 16م صعبة، لكن أزمة نهاية هذا القرن فاقت كل سابقاتها على حد قول ابن أبي محلي ففيها(تغلى الأسعار من قلة الأمطار، وتغلى المواشي، ويقل الرزق، ويكثر الزنا والفجور، وتنتقل القصور والدشور...ففرت إلى الصحراء قبائل سوس الأقصى وفي بلاد توات الأدنى والله لقد جاعت الناس من كل ناحية جوعا ما سمعنا به قط). ويبدو أن الأزمة كانت خانقة، وفي هذا السياق أورد ابن أبي محلي عنصرا آخرا قال عنه "ويبيع الحاكم الحكم، ويأخذ الرشوة".إضافة إلى الدور الذي لعبه العلماء حيث قال ابن أبي محلى : "لولا ملبسو الأمة ومداهموها من متصوفيها لزالت الغمة، أم أن المسؤولين الرئيسيين هم الرعية أو الناس الذين (أحبوا الفتن) كما ذكر السلطان زيدان[1].

لعب القحط، ولا شك، دورا أساسيا في هذه الأزمة والمصادر كلها توضح ذلك، مما يزيد من أهمية الجفاف اعتماد أغلبية المغاربة على المحصول الزراعي سواء كانت الأراضي بورية أو سقوية، لأن الماء هو المحدد الأساسي للكميات المنتجة[2].

ولأن قلة الماء تتسبب في تقلص الإمكانيات التغذية والتقلص في هذه الأخيرة ينعكس على صحة المغاربة مما يؤدي إلى انهيارات ديموغرافية بجهل الكثير عنها، إن الجفاف كان أشد في مناطق الواحات المغربية التي ينتمي إليها ابن أبي محلي.

1 المرجع نفسه، ص 21.

2 يبدو أن الإنتاج المعاشي هو الذي كان سائدا إلا أن المصادر لا تشير إليه إلا في أوقات الشدة وبإشارات متقطعة.أما المزروعات التي اهتم بها المخزن (قصب السكر) فقد حضيت بعناية خاصة لأنها كانت تزرع لتسويق.المرجع نفسه، ص 21.

إن ندرة الماء في هذه المناطق جعلت منه ملكية مستقلة عن الأرض، وأساسا لتوترات اجتماعية عنيفة[1]حيث جاع دمار سجلماسة على يد تغوير مائها، كما ناقش ابن أبي محلي ظاهرة قطع ماء سجلماسة من أعلى النهر من الزاوية الشرعية.

إن خطورة الجفاف تكمن في تواليه لأعوام كثيرة على البلاد كما أورد ذلك ابن أبي محلي في قوله : "كتب إلي في هذه السنة التي قبل هذه أخ لي في الله صالح فقه من درعة يشكو ما الناس فيه من شدة القحط وتواليه على الناس...ولقد يبس واد درعة ومات من نخله بعضه أو جله".حيث أفرغت القصور والدشور وفر الناس يمينا وشمالا وكان ممن هاجروا ابن أبي محلي و عائلته، ومن دون شك أن للجفاف دورا في كل هذا إلى درجة أن ابن أبي محلي جعل عودة ماء سجلماسة علامة من علامات ظهور المهدي المنتظر[2].

2- أزمة المخزن:

أ- مشكل البيعة عند الأشراف السعديين :

يبدو أن لهذه الأزمة جذورا من بني مخزن السعدي وربما يرجع أصلها إلى نشأة حركتهم.اعتبر البعض حركتهم كحدث عارض، وركز البعض عن احتمال لأصلهم البربري، ويظهر من خلال بعض الأحداث أن الأمراء السعديين قد عانوا حتى في أقوى فترات حكمهم من مسألة المشروعية في الحكم، للناقش هذه الفرضيات من خلال وثيقتين[3].

---

1 أبرز العربي مزين أهمية الماء وتحكمه في توتر هذه العلاقات بما يلخصه لا تتلاءم الأعمال المكثفة التي يبذلها رجل الوحات في حرث الأرض (التسفيل، الدمكلة والقلب).والمحصول الذي تعطيه إياه، يتسبب هذا التباين الحاصل فيما بين وفرة الجهد وقلة الإنتاج في بلورة علاقات اجتماعية تبنا على امتلاك بعض الناس لقوة عمل البعض الآخر.المرجع نفسه، ص 22.

2 " إن من علامات ظهوره أن يحيا عنصر ماء سجلماسة المسمى عندهم بتمندرين بلغة البربر أهل بلدنا ...ومنذ غارة ذهب رونق سجلماسة وانطفأ نورها".المرجع نفسه، ص 23.

3 الوثيقة الأولى متمثلة في الرسالة التيبعث بها مولاي محمد المتوكل إلى أعيان المغرب قائلا لهم فيها"ما استصرخت بالنصارى حتى عدمت النصرة من المسلمين وقد قال العلماء يجوز للإنسان أن يستعين على من غصبه بكل ما أمكنه...فإن لم تفعلوا فأذنوا الحرب من الله و رسله.القدوري.المرجع نفسه، ص 26. أما الوثيقة الثانية فهي المراسلة التي تمت بين يحيى الحاجي والسلطان زيدان والتي استصرخ فيها هذه الأخير بالحاجي طالبا منه مناصرته.الوفراني، المصدر السابق، ص 212- 221.

ب- العلماء و المخزن :

ناقش العلماء المتوكل على أساس الشرع [1] أوضحوا له بأنه قد تخلى عن مسؤولياته عندما لجأ إلى الفرار فأصبحت البيعة التي عقدوها له لاغية بل حجة عليه إذ كان مولانا محمد الجد الأكبر عهد لأولاده مولانا أحمد ومولانا محمد الشيخ وأخواته ألا يتولى الخلافة منهم ومن أولادهم إلا الأكبر فاكبر فالتزموا ذلك[2].

إن موقف العلماء من هذا الموقف الموروث الذي يتبناه ابن أبي محلي[3]، يظهر أن السعديين عانوا باستمرار من هذه المشروعية حتى في أقوى فترات حكمهم[4]، وبالمراسلة التي تمت بين الحاجي وزيدان تصل إلى دور العلماء في هذه الأزمة.قبل أن يورد الو فراني رسالة الحاجي وضع الملاحظة التالية[5]، لقد تحمل منه ذلك لأن قوته كانت منعدمة ولأنه كان بحاجة إلى وقوف الحاجي بجانبه، اعتمد أساسا على مفهوم الدين النصيحة، والنصيحة هي الوسيلة التي استعملهاالعلماء من أجل مراقبة الأمراء والتدخل في شؤون المسلمين أي الدولة، حيث شعر السلطان زيدان بضرورة التحديد حيث بين شروط السلطنة : "واعلم أن السلطنة أما أشراط لابد منه وسياسة يكره ظاهرها[6].

---

1 " فقولك خلفنا بيعتك التي التزمنها وطوقناها وعقدناها...وإنما ذلك منا على منهج الشرع إلا أن قام عليك عمك..." .القدوري.المرجع السابق، ص 26.

2 المرجع نفسه، ص 26.

3 " وأنه لا يجوز نقض البيعة إلا بحقها ولا الخروج على السلطان والقيام عليه إلا بشرطه المعروف بين أهل العلم ".المرجع نفسه ، ص 27.

4صاحبت حركة السعديين تطاحنات من أجل الإنفراد بالحكم حيث قتل محمد الشيخ أخاه أبا العباس الأعرج، وقتل عبد الله الغالب واحد من إخوته وتسبب في فرار أخويه عبد المالك والمنصور كما عرف المغرب أزمة بسبب صراع المتوكل مع عمه وخاض أحمد المنصور الذهبي حروبا ضد الناصر ابن الغالب، وتصارع أبنائه الثلاث من أجل الحكم.ومما يوضح اهتمام المنصور بمسألة الخلافة هو عقده البيعة للمأمون وحرصه على أن يوقعها إخوته.المرجع نفسه، ص 27.

5" وكان (أي الحاجي) يراسل زيدان وينصحه ويجير منه من استجار به وكان زيدان يتحمل من ذلك أمرا عظيما".الوفراني.المصدر السابق، ص 221.

6المصدر نفسه، ص 221.

يبدو أن مكانتهم كانت متميزة حيث احتلوا مناصب هامة في اتخاذ القرارات (الفتوى القضاء) أعطتهم هذه المناصب أرباحا[1] هائلة بإضافة إلى الهدايا التي كانت تصلهم من الأمراء أو من غيرهم فالمعروف أن القضاة يلبسون ملابس متميزة، فيبدو أن الامتيازات المادية كانت مشروطة بالتعامل مع المخزن، وأن السمعة الاجتماعية كانت تستمد من العامة واستمالة هؤلاء كانت مرتبطة بمواقف حراس الشريعة من الأحداث، فالعلاقات فمابين السلطنة وشروطها والتي ربما لا تظهر كما ألح على ذلك زيدان والممارسة اليومية وربما لا يخضع لنصوص التشريعية(حياة الناس اليومية) وأخيرا الشريعة، فهذه العلاقات مبنية على تفاعلات.

لعل مشكل البيعة من الثوابت الأساسية التي لم يستطع السعديون حلها بل لجأ أمراؤهم إلى فرض الضرائب الغير الشرعية مما زاد في حدة الصراع.وقد أشار أحمد ابن أبي محلي إلى هذه السياسة الضرائبية واعتبرها مسؤولة عن دمار سجلماسة[2].كما لقد وقف السلطان زيدان عند أسعار الخراج التي زاد فيها المنصور[3].

1 حجي.**الحركة الفكرية**، ج1، المرجع السابق، ص 116.

2 حيث قال :"ومن المحن الخاصة بهذه البلدة أن أصولها كلها قد قومت على أربابها من قبل سلاطينها فهم يؤدون لذلك في كل سنة خراجا معلوما إلى عمالهم على النخيل وما تنبته الأرض وبعد ذلك كل ما زرعوه في الأصول المذكورة وخارج البلد وإن سقوه بسبيل المطر فإن المخزن يأخذ نصفه بمجرد الماء الذي لله ...وليس له مع أهلها أصلا ولا فصلا في زرع ولا نخل وهذه بلية بها ".القدوري.المرجع السابق، ص 29.

3 فقال :" أمعن النظر في أصل الخراج فوجد بين السعر الذي بني عليه في قمة الزرع السمن والكبش الذي تعطى الرعية منذ زمان الفرض وبين سعر الوقت أضعافا فحين إذن تجرى العدل فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه أو دفع ما يساوي سعر الوقت فاختاروا السعر مخافت أن يطلع إلى ما هو أكثر".الوفراني.المصدر السابق، ص 222.

إن الأوصاف التي تركها الفشتالي في قصر البديع تتجاوز أحيانا الخيال، والمواد المستعملة في بناء القصر يبين بوضوح أن أثر النهضة الفنية قد وصل إلى المغرب لاسيما الفن الإيطالي، ومن جهة ثانية يبدو أن المنصور كان على علم بناء قصر فليب "الأس كريال "والذي دام فيه عشرين عاما، إلى جانب النساء اهتم المنصور بالمناسبات لاسيما الاحتفال بالمولد النبوي إلا أن الحفل على ما يبدو كان يكلف الخزينة كثيرا ففي شأنه قال الفشتالي[1].

تميزت سياسة المنصور باللينة مع الخاصة والعنف مع القبائل عن طريق الحركات التي تعتبر كأسلوب مخزني ذي أبعاد ووظائف مختلفة[2].

ج–القبائل و المخزن :

يبدو أن أحمد المنصور كان يمزج فيما بين الحيطة والحذر من جهة والعنف والقوة من جهة ثانية، حذر ابنه وولي عهده في رسالة من خطورة التعامل مع بعض القبائل، ونصحه للمأمون بقوله[3].

يظهر من الجملة أن المأمون كان مستقلا في اتخاذ القرارات المحلية وربما شكلت مواقفه هذه سبب من أسباب التوتر فيما بين الأب والابن.اعتبر المنصور قرار المأمون غير صائب لأنه استعمل أولاد طلحة في خدمته بفاس، ويبرز التوتر فيما بين القبائل والمخزن السعدي من خلال الاعترافات التي أوردها المنصور : سبق له أن استعان بهم وقد ندم على ذلك بل اعتبر قراره السابق خطئ بقوله[4]، نصح المأمون بالتخلي عن استخدامهم لأن إرادتهم الأساسية تكمن في رأي المنصور في

1 " و لم يزل ...يختلف الظرفاء من الخدام على الناس لا خصال الملابس بماء النعيم من كثير الورد والأزهار...فيلبث طيبها لصقا بالأثواب مدة مديدة...فلا تسأل على التفنن في المطابخ والتنويع في المأكل...فينفصل المجلس ...وقد مكث من فاضل الطعام بفضاء الإيوان هضاب سامية فيؤذن للمساكين وذوي الحاجات المحرومين ...فينقضوا عليها" ثم أضاف " وكانت لمولانا أمير المؤمنين صدقات فاشية واسعة عظيمة الفائدة".الفشتالي.المصدر سابق، ص 252.

2 القدوري. المرجع السابق، ص 30.

3 "بلغنا أنكم قد استخدمتم هنا كم جماعة من أولاد طلحة".الفشتالي.المصدر السابق ،ص 52.

4" فقد ندمت والله على استخدامهم ...وأنا في ذلك على خطئ".المصدر نفسه، ص 53.

إبراز ضعف المخزن : "وهؤلاء إنما يبحثون على الغرة و عورة المملكة"، فالعلاقة إذن مبنية على التوتر والمخزن يلجأ باستمرار إلى إضعاف هذه القبائل لأن في ضعفهم قوته[1].

إذ كانت ثورات القبائل ساهمت وبقدر كبير في نحر الجهاز المخزني والذي عبر عنه المنصور في شكر مأساوي سنة واحدة قبل وفاته[2].

ويظهر أن العوامل تداخلت وقد زاد من حدتها الوباء الذي اجتاح البلاد أو كما قيل (طال واستطال) وقد ألح ابن أبي محلي كثيرا وفي مناسبات عديدة على هذا ومما قله[3]، يبدو أن الوباء الذي طال، والقحط المتوالي بإضافة إلى سياسة المنصور الاقتصادية التي ركزت على الاهتمام بزراعة قصب السكر وأهملت "الزراعة المعاشية"بل لجأت إلى الإساءة إليها عن طريق الكلف والحركات من جهة وعن طريق استتراف المياه واليد العاملة في مزارع الدولة العسكرية، ولاشك أن كل هذه العوامل قد تظافرت ففجرت الأزمة وقد ازدادت حدة على أثر التحولات التي وقعت في ظرفية العالمة والتي كانت سببا من بعيد أو قريب في تحديد ملامح سياسة المنصور سواء على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الخارجي، ارتفعت الأسعار في المغرب بشكل مهول كما قال ابن أبي محلي : "وتغلي الأسعار... ويجوع الناس جوعا شديدا"ويبدو أن ارتفاع الأسعار كان مرتبطا بالنسبة النقدية كما ظهر أن المبدلات التجارية عرفت تحولات على المستوى العالمي والتي بدأت تتميز بنوع من التقسيم في العمل ومن دون شك أن شعور المنصور يتجاوز أوروبا المغرب جعله يخطط لغزو السودان[4].

1 المصدر نفسه، ص 54.

2 حيث قال لابنه المأمون : "ومازال جرحهم إلى الآن لم يبرأ ".بل سيزداد هذا الجرح تفاقما، وساهم إلى جانب عوامل أخرى، في نحر و تفتيت كل ما بناه السلاطين الأوائل وقد لخص ابن أبي محلي الوضعية الجديدة بقوله :"فاجتمع على أهل الغرب منذ مات المنصور بل وقرب وفاته...الجوع والهرج و لوباء ....تفاقم واتسع الخرق بين أولاده ووقعت وقائع مات منها خلق كثير".القدوري.المرجع السابق، ص 31.

3 حيث قال : " وأول ما بدا بقرية بإزاء ميسور...على نهر ملوية....وانتشر و لم يزل حتى الآن بناحية مراكش وتلمسان وقد استمر في الغرب كما مر مدة تقرب من عشرين أو تكاد و لم يسمع بمثله في المغرب.المرجع نفسه، ص 32.

4 المرجع نفسه، ص 32، 33.

د- غزو السودان و الأزمة :

شكل المغرب منذ عابر العصور الخط الرابط الأساسي فيما بين السودان والمناطق التي توجد شمال الصحراء، فقرر المنصور الذهبي غزو السودان برغم من معارضة الرأي العام المغربي حيث اعتبر ابن أبي محلي دخول رايات المنصور إلى تمبكتو كعلامة من علامات المهدي المنتظر حيث قال : "إن دخول رايات أبي العباس المنصور للسودان واستيلائه على سلطانها، حيث ركز الفشتالي ومن اعتمد عليه على الهول الذي أصاب السكان من جراء الأسلحة المستعملة مما دفع بهؤلاء إلى الاستسلام، غير أن ابن أبي محلي أورد إشارة تستحق الوقوف وهي[1]، حيث يوجد اختلاف بين رسالة المنصور وقول ابن أبي محلي، لاشك أن للفرق الزمني دورا فالمنصور كان أول من توصل بالخبر وهو الذي نظم الحملة في حين ابن أبي محلي تحدث عن الحملة ببرودة لذا نجده يعتبرها علامة من علامات الفناء في حين أن المنصور طلب من رعاياه أن يتخذوها : "يومها الأعز...عيدا ومهرجانا...فهو بكل خير شامل".

ولعل المصادر السودانية أعطت نظرة مخالفة فقد ركز تاريخ الفتاش على خيبة أمل القائد جودر مع أسكيا، لقد كلفت الحملة المخزن أعباء كثيرة المتمثلة في : مصارف هائلة، كما تسببت للمنصور في إبعاد أجود عناصر جيشه عن المغرب ربما في وقت كان في أمس الحاجة إليها لاشك أن المنصور قد أدرك مجدا وافتخارا كبريين من جراء هذه الحملة التي كانت ممكنة في تلك الظروف إلا أن نتائجها كانت على عكس ما كان يهدف إليها.ويمكن وضع تشاؤم المغاربة من مجئ الفيلة في هذا الإطار[2].

1 قوله :"علامة من علامات أخر الزمان لأهل المغرب الأقصى ".فهو لم يذكر كما فعل في السابق على أنها علامة من علامات المهدي بل هي علامة أخر الزمان، ثم استعمل ولأول مرة بالمغرب الأقصى فقد حدد جغرافيا المنطقة التي ستعرف دمارا نهائيا.المرجع نفسه، ص 34.

2 المرجع نفسه، ص 35.

ب- الأسس المادية و المعنوية للثورة :

1- المؤهلات العائلية :

مكنته أن يكون متبوعا لا تابعا عرفت أسرته برياسة العلم وخطة القضاء وجد ابن أبي محلي، في محيطه العائلي سندا مكنه من تذليل الصعوبات وكذلك من احتلال مركز اجتماعي مرموق، فالعلم كان من أسباب الترقية الاجتماعية إذ لم نقل أهمها، حيث كان العالم يؤثر على السلطة والمجتمع، فهو حارس الشريعة كما كان العلم من الشروط المفروضة في أهل الاختيار، لأن أهمية العلم بالواحات كانت كبيرة.

كما أورد ابن أبي محلي عدة روايات لتبين أنه من أصل شريف سواء من أمه أو أبيه، ينحدر أبوه من العباس بن عبد المطلب عم النبي - صلى الله عليه وسلم-[1].

2- مؤهلات الثورة المادية :

يبقى نظام الملكية في الوحدات الأساس تنبني عليه العلاقات الاجتماعية ومصدرا من مصادر التمايز بين العلاقات، أدى هذا التمايز إلى توترات اجتماعية داخل الأسرة، القصر أو فيما بين القصور إما على ملكية الماء أو ملكية الأرض، مما يؤكد أهمية الملكية الملاحظات التي أوردها ابن أبي محلي في هذا الصدد حيث أعطى معلومات تشير وتسعى إلى إثبات ممتلكات العائلة[2]، ويظهر من خلال ما جاء به ابن أبي محلي أن الأسر كانت تحافظ على أوصولها بعدة طرق :عن طريق الحبس[3].

1 المرجع نفسه، ص36.

2 "فائدة للأبناء خصوصا لما توفي جدي الأقرب محمد بن عبد الله، وكانت له أصول كثيرة...في غير موضع من سجلماسة وهو يتكلم عن أخواله أشار إلى زاوية أعمامه المعروفة بزاوية السيد عبد الله وأشار كذلك إلى بعض الممتلكات الأخرى".المرجع نفسه، ص 53-57.

3 ظاهرة تكلم عنها ابن أبي محلي بكثرة "فائدة أما عبد الله ويحي فلا أعلم لهما معنا إلا ما كان من موسى الذي هو في طبقة والدي لأن له شركة في هذا الوقف البار كاوي".المرجع نفسه، ص 58.

كما أشار إلى كثرة الأصول المحبسة أو الموهوبة[1]نلاحظ أن الهبة تكون للأولاد لا لولد واحد، ويبدو أن نظام الملكية في الواحات كان يحرم المرأة بطريقة أو بأخرى من الإرث[2].

كانت بعض القبائل تستغيث بابن أبي محلي من أجل حل المشاكل كما فعل معه أهل تافلاليت"كتب شيوخ البلد وتجارها ومساكنها ونظارها إذا سألوا الإغاثة فأجبتهم كما أمر –الله– "مما زاد من نفوذه ولجوء السلطان إلى الاستعانة به كما حصل عندما نهبت أموال القوافل كانت مساهماته كثيرة ومتنوعة في المؤسسات المحلية التي ملئت الفراغ الذي خلفه غياب المركز الذي أصبح عاجزا عن حماية مؤسساته، وعن القيام بواجباته.

3– الأسس النظرية :

لقد تعدد السلاطين في البلاد وتطاحنوا فيما بينهم من أجل السلطة، ولا يحل لأمة أن تبقى بلا إمام، فإن تعددوا وجب القيام عليهم.لقد أفسد أبناء المنصور البلاد وملأوها جورا وظلما فقد شربوا الخمور كما تعاطوا للزنا واللواط، والنهب.والأكثر من كل هذا أنهم تخلوا عن الجهاد.

4– اتخاذ المهداوية كمطية إيديولوجية للثورة :

لجأ ابن أبي محلي إلى تدعيم حركته أكثر من الناحية الشرعية عن طريق الأخذ والمناداة بالمهدوية وبالخلافة الإسلامية لأن الخلافة معقودة له(أي المهدي)...فقد أعطى معلومات كثيرة عن المهدي المنتظر وكلها تنطبق عليه.إلى درجة جعلت العلماء يستفزونه فيما يقول، فلم يكتفي بالمهداوية بل لجأ من جهة ثانية إلى إعطاء إشارات حول الخلافة العباسية[3].

1 "وهب الفقه لأجل القاضي لأعدل الأسنى الأكمل الحاج أبو عبد الله محمد بن الفقه الأجل القاضي لأعدل الأسنى الأكمل الحاج المرحوم أبي عبد الله بن الفقه العدل المرحوم ابن محمد أبي البركات بن أبي محلي لأولاده".المرجع نفسه، ص 58.

2 "حرمت من الإرث واستعملت من جهة ثانية في توطد النفوذ، لاشك أن المصاهرة كانت تستخدم في كسب الجاه، زواج ابن أبي محلي من قبيلة بني عباس ومن قبيلة بني جومي بإضافة إلى زواجه من بنت عبد القادر".المرجع نفسه، ص 58.

3 المرجع نفسه، ص 58.

5- طرق دعايته :

لقد سهر في البداية على إقناع الأعيان والفقهاء والعلماء مركزا في مراسلاته على الحجج الدينية وعلى مصلحة الأمة التي تفرض الاستشارة، كما اعتمد كذلك على الرؤية ولاسيما رؤية- النبي -صلى الله عليه وسلم-[1]ومن ضمن الإشاعات التي تنسب إليه قول "كنا نسمع أن السلطان المنصور إذا خرج من مراكش قاصدا مدينة فاس فإنه لا يرجع لمراكش" وقد عقب الوفراني عن الإشاعة قائلا :"لقد شاع الخير في الناس، ودعا فكان الأمر كذلك" أما ابن أبي محلي فقد عقب بقوله "لا أدري من أين للناس بذلك هل أنطقهم –الله- به وأجراه على ألسنتهم أو عن علم تلقوه عن أربابه وكأنه الأشبه"، فقد أشاع الناس أن الرصاص يقع على أصحابه باردا[2]كما كان يقول لأصحابه "بأنهم أحسن من أصحاب –النبي صلى الله عليه وسلم- لأنهم يناصرون الحق في زمن الباطل أما أصحاب –النبي صلى الله عليه وسلم- فإنهم ناصروه في زمن الحق"[3].

6- حملاته العسكرية :

قرر ابن أبي محلي وضع حينما أخذ السيف[4]كما استطاع أن ينتصر على المخزن السعدي في أول لقاء عسكري بسجلماسة في ربيع 1611م/1019هـ[5]فلما توفي المنصور السعدي عام 1012هـ/1603م وتلي موته ما تلاه من فوضى والاضطراب وتقطع أسباب الدولة بسبب تقاتل أبنائه على الملك صار يتحين الفرص لصدع بدعوته ويترقب الوقت المناسب للخروج في أتباعه للإجهاز على الدولة المنهارة وتأسيس دولة جديدة على أنقاضها يكون على رأسها[6].

1 المرجع نفسه، ص 61- 64.

2 الوفراني.المصدر السابق، ص 209.

3 القدوري.المرجع السابق، ص 64 .

4 المرجع نفسه، ص 65.

5 الوفراني.المصدر السابق، ص 207.

6 بن منصور.**أعلام المغرب ج5**، المرجع السابق، ص 288.

حتى كان تسليم السلطان محمد الشيخ السعدي الملقب بالمأمون العرائش للإسبان[1]فأظهر أحمد بن أبي محلي الغضب ودعا الناس للجهاد[2]فسار بهم عام 1019هـ/1610م إلى سجلماسة واستولى عليها، فلما التقى بالحاج المير كان عدد جنود ابن أبي محلي 400 آلاف وحاج مير 4 آلاف[3].

إن انتصاره على الحاج المير في أول معركة حدث حاسم في حركته، لأنه تم في بلدة نشأته وربما قد دفع بعدد كبير من الناس إلى الانضمام إليه.كما أن الاستيلاء على سجلماسة يعني مراقبة الطريق التجاري الذي يربط السودان بفاس.كما حاول تطبيق المبادئ التي ظل ينادي بها[4]، فلما بلغ خبر الهزيمة إلى زيدان وانتهى إليه فجهز إليه جيش من مراكش، وأمر عليه أخاه عبد الله بن منصور المعروف بالزبدة فسمع به أبو محلي فسار إليه فكان اللقاء بينهما بدرعة، فوقعت الهزيمة على عبد الله بن منصور ومات من أصحابه نحو 3 آلاف، فقوي أمر أحمد بن أبي محلي واشتدت شوكته وجمع بين سجلماسة ودرعة[5]غير أننا لا نستطيع تحديد الطريق الذي سلكه من أجل الاستيلاء على درعة، التي شكلت المرحلة الثانية في حركته.واهتمامه بدرعة يكتسي دلالات كثيرة لعل أبرزها الموقع الجغرافي فهي لا تبعد عن تافيلالت، وتشبهها في المعطيات الطبيعية وبالتالي لن تطرح صعوبات كثيرة.كما أن ابن أبي محلي كان يتراسل منذ مدة مع علماء وأعيان درعة وبالتالي تكونت لديه فكرة عنها.كما أن درعة هي مهد الحركة السعدية، والاستيلاء عليها يعني من الناحية الرمزية القضاء على السعديين.

1 عطا الله شوقي. **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب**، ط.1، 1988، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، ص 199.

2 واحيحي.**مهداوية**، المرجع السابق، ص 47.

3 المرجع نفسه، ص 47.

4 "لما دخل سجلماسة أظهر العدل وغير المنكر، قدمت عليه وفود أهل تلمسان والراشدية يهنؤنه بالفتح".الوفراني.المصدر السابق، ص، 207.

5 واحيحي.**مهداوية**، المرجع السابق، ص 47.

كما كان ابن أبي محلي يهدف إلى السيطرة على الطريق التجاري الهام الذي كان يمول السعديين بالواردات السودانية لاسيما التبر.و هكذا كما سيطر على لكتاوة[1].

كان القائد يونس الإيسي قد هرب من زيدان لأمر نقمه عليه وقصد ابن أبي محلي، فجاء معه يقوده ويطلعه على عورات زيدان ويهون عليه الأمر، ومازال به إلى أن أتى به إلى مراكش فبعث إليه زيدان جيش كثيف فهزمه ابن أبي محلي، وتقدم فدخل مراكش واستولى عليها وفر زيدان إلى ثغر آسفي[2]حيث ظفر لنفسه بذخائر الملك وادعى لنفسه وقام بأمر وسكن، وأخذ في حرب زيدان آناء الليل وأطراف النهار وهو يقاتله إلا أن غلبه[3].

لقد قال ابن أبي محلي لأتباعه من شراكة عندما قدم لأولي مرة، أنه سوف يسترجع البريجة وسبتة وطنجة، وأنه لن يحارب المسلمين إلا إذا قاموا ومنعوه من استرجاع المدن التي يمتلكها المسيحيون، كما اعتبر زيدان وأتباعه المسحيين بأنه نصراني وكافر.أما عدد أتباعه من الشراكة 2500 أغلبهم من المشاة بدون مدافع، سلاحهم رماحا قصيرة، رؤوسهم عارية، لا يرتدون قمصانا أو ثيابا بل يلبسون حياكا وقد تخلوا عن هذا السلطان وعادوا إلى بلدهم[4]، كما لجأ ابنأبي محلي إلى العنف في الأطلس الكبير بل من المحتمل أن يكون قد تفاوض مع شيوخ قبائل آيت زينب وكلاوة قصد استمالتهم، وإلا كيف نفهم موت القائد عزوز في معركة جليز إلى جانب ابن أبي محلي[5] للحكم فيها[6].

1 ويقال أيضا كتاوة منطقة بناحية وادي درعة، أنشئت فيها وباسمها جماعة قراوية تابعة لقيادة تاكونيت، دائرة اكدر، إقليم ورزازات.بن منصور.المرجع السابق، ص 288.

2 واحيحي.**مهداوية**، المرجع السابق، ص 47.

3 الناصري.**الاستقصاء**، ج6، المرجع السابق، ص ص 30-32.

4 حجي.**متنوعات حجي**، المرجع السابق، ص 149.

5 القدوري.المرجع السابق، ص، 66.

6 قيل الكثير وبطريقة مشوهة عن ابن أبي محلي عندما دخل مراكش. "لما دخل قصر الخلافة بمراكش فعل فيها ما شاء، ودبت في رأسه نشوة الملك ونسي ما بني عليه أمره من التقوى والشك."الوفراني.المرجع السابق، ص، 207.

أعطى التاجر الهولندي معلومات أساسية حول سياسة التي انتهجها ابن أبي محلي عند دخوله المدينة حيث ذكر أنه عين حاكما عليها وكلفه بالسهر على راحة الناس وأمنهم، كما اهتم بالقضاء فعين قاضيا ونصحه بالعدل في الحكم بين الناس،كما أشار التاجر إلى اهتمام ابن أبي محلي بجمع الضرائب سواء كانت حيوانا أو خيلا أم ماشية أو أموال، كما كان يخطب في الناس ليذكرهم بأنه إنما أتاهم كضيف ليكرموه و لم يأتي ليشتري منهم مساندهم، وإن ممارسته السلطة جعلت أحمد ابن أبي محلي يحتك بالواقع ويلجأ إلى منطق الحكم و هكذا نراه يستعمل القوة من أجل جمع الضرائب.

كما لاحظ التجار أن الوضعية غي مستقرة وأنها قد تنقلت إلى فوضى لأن القبائل دخلت العصيان بما فيها تلك التي رافقته من الصحراء.

لما رأى زيدان ما رأى وتحقق فشل ريحه وضعفه عن مقاومة ابن أبي محلي، كتب للفقيه أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاجي ثم الداودي مستغيثا به ومستصرخا، وكان يحيى بزاوية أبيه من جبل درن وله شهرة عظيمة في الصقع السوسي، فبعث له زيدان مستنجدا ومستصرخا وقال له أن بيعتي في أعناقكم وأنا بين أظهركم فيجب عليكم أن تدبوا عني وتقاتلوا معي، فلب أبو زكرياء نداءه وأغاثه، فحشد الجيوش من كل فوج وجمع الجموع من كل صوب وخرج إلى مراكش في ثامن رمضان عام 1022هـ/1613م ولما بلغ يحيى فم تانوت موضع على مرحلتين من مراكش[1].

كتب له أبو محلي –بسم الله الرحمن الرحيم – من أحمد بن عبد الله إلى يحيى بن عبد الله بلغني بأنك جندت وبنت وفي تانوت[2] نزلت اهبط للوطا لينكشف بيني وبينك الغطا فالذئب ختال والأسد صوال ولا تستقيم الأيام إلا بضرب القنا وقطع الحسام والسلام فأجابه بما نصه –بسم الله

1 المرجع نفسه، ص 67.

2 بربريها أمين التانوت، ومعناه فم البوير، اسم بلدة تبعد 100 كلم عن مراكش إلى الجنوب الغربي منها في طريق أجدير.بن منصور.المرجع السابق، ص 290.

الرحمن الرحيم- من يحي بن عبد اله إلي أحمد بن عبد الله أما بعد فليست الأيام لا لي ولا لك إنما هي للملك العلام، وقد أتيتك بأهل البنادق والأضرار من الشبانة[1] ومن انتمى إليهم من بني جرار[2] وأهل الشرور والبؤس من هشتوكة إلى بني كنسوس فالوعد بيني وبينك جليز هنالك -ينتقم الله- من الظالم ويعز العزيز و السلام [3].

سابعا- مقتل ابن أبي محلي :

كانت المعركة على أبواب مراكش[4]حيث زحف يحي إلى مراكش في جموعه فنزل قرب جليز[5]فبرز إليه ابن أبي محلي بجموعه[6]فلتحم القتال بين الفرقين[7]فوقعت أول رصاصة أطلقت في نحره فمات في مكانه، ودب الرعب في أنصاره فتفرقوا أيادي سبا، وحز رأسه وعلق مع رؤوس جماعة من أتباعه[8]على أسوار مراكش [9] سنة 1023هـ/ 1614م[10] نحوا من اثنتي عشر سنة، ودفنت جثته بمقبرة القاضي عياض[11] بروضة الشيخ أبي العباس السبتي تحت المكتب المعلق هنالك عند مسجد بالجامع[12]، حيث عاش من نجا من أتباعه وهم يعتقدون أنه لم يمت، وأنه سيظهر من

1 الشبانات قبيلة عربية توجد – مستقلة أو مندمجة بطون منها في غيرها – في جهات كثيرة من المغرب، من أشهرها قبيلة الشبانات إحدى قبائل اتحادية الشراردة التابعة لإقليم سيدي قاسم.المرجع نفسه، ص 290.

2 اسم قبيلة عربية توجد في جهات كثيرة من المغرب قائمة بذاتها أو متكاملة بطون منها مع غيرها، من أولاد جرار بإقليم بولمان، وأولاد جرار بإقليم الصخيرات – تمارة (ولاية الرباط)، وأولاد جرار بإقليم تيزنيت، وهؤلاء الأخيرون هم الذين يعنيهم يحي الحيحي.المرجع نفسه، ص 290.

3 الوفراني.المصدر السابق، ص ص208- 209.

4 الزركلي.المرجع السابق، ص 161.

5 جبل مطل على مراكش.الناصري.**الاستقصاء، ج6**، المرجع السابق، ص ص 32، 33.

6 بن منصور.المرجع السابق، ص 291.

7 الوفراني.المصدر السابق، ص 209.

8 بن منصور.المرجع السابق، ص 291.

9 محمد باشا ابن الأمير عبد القادر الجزائري.**تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر في أخبار الجزائر**، المطبعة التجارية غرزوزي جاويش، الإسكندرية، 1903، ص 55.

10 قبلي.المرجع السابق، ص 393.

11 بن منصور.المرجع السابق، ص 291.

12 الناصري.**الإستقصاء، ج6**، المرجع السابق، ص 33.

جديد[1] ثم ارتحل زكريا إلى بلاده مظهرا العفة عن الملك بعد أن اشتهر بمراكش أياما حصلت بينه وبين زيدان مراسلات إلا أن مات زيدان بمراكش،كما قال أبو العباس أحمد المريدي المراكشي – رحمه الله– عن ثورته الفاشلة الكلمة الشهيرة السائرة : "قام طيشا و مات كبشا"[2].

فهم يشرون بها إلى حكمه ثلاثة أعوام أي قام في 1019هـ/1610م ومات في 1022هـ/1613م[3]، فلم يصدق من بقي من شيعة أبي محلي بقتله، واستمروا على ذلك مدة، وربما بقي من يزعم أنه اختفى في بعض المغارات لتعبد إلى أن يخرج وهم في انتظاره[4] ، وقد كان صاحب المعسول بالفعل محقا لما قال عنه[5].

كان ابن أبي من أفذاذ الرجال ذو شجاعة وبطولة في الجهاد فلولا رصاصة الغدر التي اخترقت صدره، لكان أسطور في التاريخ فقد اكتسب شهرة واسعة بين رجالات العلم في عصره، فكون لنفسه جاه ونفوذ بين القبائل الصحراوية لأن عصره كان مليئا بالفوضى والاضطرابات السياسية مستغلا في ذلك منطقة الساورة التي مكث فيها ما يناهز عشرين عاما أرضية خصبة لنجاح دعوته، ونقطة ارتكز في إعلان ثورته التي استهدفت من خلالها تغير الواقع بما يتماشى مع تطلعاته واجتهاداته.

1 بن منصور.المرجع السابق، ص 291.

2 الوفراني.المصدر السابق، ص 209.

3 واحيحي.**سجلماسة/تافيلالت**، المرجع السابق، ص 304.

4 محمد بن الطيب القادري.**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني**، تح، محمد حجي وأحمد التوفيق، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، الرباط، 1397ه/ 1977م، ص107.

5 قال عنه "أنه من أفذاذ الرجال الذين يقلون في كل جيل، ولو تم له الأمر ونجا من يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم لكان له شأن يسطره عته التاريخ بأقلام من ذهب.واحيحي.**سجلماسة/تافيلالت**، المرجع السابق، ص 304.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: آثار أحمد ابن أبي محلي

- أولا: مؤلفاته النثرية
- ثانيا: مؤلفاته الشعرية

يعتبر أحمد بن أبي محلي من بين أولئك العلماء والفقهاء الذين ساهموا في الحركة الثقافية بإقليم الساورة بالجنوب الغربي الجزائري في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر هجريين موافق لأواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر ميلاديين، هذه المساهمة تظهر من خلال ما تركه من مصنفات متعددة ومتنوعة، تنوع القضايا والإشكالات التي كان يثيرها ويدافع عنها، إذ تجاوزت كتاباته الألف ورقة.

أولا– مؤلفات ابن أبي محلي :

ألف ابن أبي محلي معظم كتبه بعد عودته من الحج للمرة الثانية عام 1014هـ/ 1605م، واستقراره بقرى بني عباس بوادي الساورة، بعد ما ألف جوابه المعروف ب"جواب الخروبي " بدرعة و"القسطاس" بدار سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بالشلالة الظهرانية[1] في نحو شهر قبل خروجه منها إلى بني جومي.وقد استطاع الفقه أحمد بن أبي محلي أن يؤلف إنتاجا أدبيا مهما تجاوز ما يفوق ألف (1000) ورقة، خصوصا تلك التي تم العثور عليها أما التي لا نعرف سوى اسمها، فلا نعرف بالضبط حجمها، ولكن يظهر أنها في الغالب الأعم تشبه جل مؤلفاته من حيث الحجم وعدد الصفحات[2].

1 قصر من قصور صحراء تلمسان في جهتها الجنوبية الغربية.بها ضريح والد سيدي الشيخ محمد بن سليمان.أهله مزارعون للحضر والفواكه، ولبعض نخيل التمور، وهي مصدر أرزاقهم إلى جانب ممارستهم للتجارة، كما عرفوا بصناعة التبغ من أشجار العرعار، إلى جانب صناعتهم للصابون.موساوي.المرجع السابق، ص 287.

2 واحيحي.**سجلماسة/تافيلالت**، المرجع السابق، ص 294.

ونظرا لمكانة مؤلفاته والقضايا التي كان يثيرها بين ثناياها، فقد عرفت كتاباته شيوعا ليس فقط في المغرب، بل حتى في المشرق[1]، وقد دون ابن أبي محلي بعض مؤلفاته في قصيدة شعرية وفي هذا يقول :

أيعمل في المهراس خدشك خاس وكم دق بالمهراس مرداس ناس

وأوضحت بالوضاح كل طريقة كما فضح القسطاس درهم دس

وأجـــــوبة الخروبي عنـــوان ما معي إذا تعاطف كـــــل عاس

ومهدت في المجد الأتيل قواعـــد ودللت الإصليت قنعاس بـــاس

وذا المنجنيق ردفه سم ساعة لقتل غوى قاتلا قلبي كل قـــــــاس[2].

وتتمثل مؤلفاته في :

1- مراسلات ومهاجيات نظما ونثرا مع معاصره من سلاطين وفقهاء مغاربة ومشارقة.

2- تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة.

3- الوسيلة إلى الله بالقرآن.

4- جواب الخروبي.

5- الهودج.

6- وصية لابنه العربي سماها حدراء القصائد وعذراء الولايد.

7- القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من المستقيم.

8- الوضاح لكل متمشدق فضاح.

9- أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر و قادة العصر.

1 المرجع نفسه، ص 294، 303.

2 موساوي.المرجع السابق، ص 288.

10- الحكاية الأدبية والرسالة الطلبية مع الإشارة الشجرية[1].

11- السيف البارق والسهم الراشق.

12- منجيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور أو لرمي الزنديق.

13- مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس نفوس السفلة المنخدعة.

14- سلسبيل الحقيقة والحق في سلسبيل الشريعة للخلق.

15- سم ساعة في تقطيع أمعاء مفارق الجماعة.

16- تهييج الأسود.

17- رسالة إلى رؤساء القبائل بعدما أخذت وهران من طرف الإسبان[2].

أ- وما يميز هذه المخطوطات هو :

أنها في مجملها غير محققة باستثناء القسم من رحلته الشهيرة التي تضمنها كتابه إصليت الخريت، الذي أخرجه الأستاذ عبد المجيد القدوري تحت عنوان "**ابن أبي محلي الفقيه الثائرورحلته الإصليت الخريت**"، الذي يهم فقط المقالة الثانية من الباب الثاني التي تضم الصفحات من156 إلى 206، أو مخطوطه "**تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة**"الذي قام بإخراجه الأستاذ سعيد واحيحي ضمن كتابه"**مهداوية ابن أبي محلي الفيلالي**"

- البعض من تصانيفه عبارة عن مخطوط مفردة، ومنها ما ضم في مجامع.

- جل مخطوطاته ألفها ابن أبي محلي بجنوب غرب الجزائر بقرى بنى عباس بإقليم الساورة.

- أغلب مخطوطات ابن أبي محلي في التصوف نثرا وشعرا تحمل في ثناياها هجاء لشخص سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي.

- نسخ أغلبها بالخط المغربي المعتاد وبمداد أسود، وبأقلام جزائرية، جلها من نسخ تلاميذته.

1 واحيحي.**سجلماسة/ تافيلالت**، المرجع السابق، ص 298.

2 المرجع نفسه، ص 299-300.

بعض المخطوطات فيها ألوان وبصفة خاصة اللون الأحمر الذي كان يستعمله ابن أبي محلي في كتابته للعناوين بغرض ترتيب النص وإشارة إلى ضرورة التوقف[1].

العناصر المادية لجل مخطوطاته عبارة عن ورق، ومما لا شك فيه أن الورق كان متداولا في هذه الفترة (1137هـ/1627م) والذي كان يستورد من أروبا.

-جل مخطوطاته بها حالتها سيئة فبعضها مبتورة الأول والآخر، وبعضها بها خروم بسبب العوامل الطبيعة والبشرية.

- معظم المخطوطات ورد فيها ذكر لتاريخ ومكان التأليف.

- معظم المخطوطات عناوينها طويلة.

- علامة الاستفهام (؟) الواردة في وصف المخطوط محصورة بين قوسين كبيرين تعنى أن الكلمة في المخطوط تعذر قراءتها، وإن تكررت فتعني كلمتين تعذر قراءتهما أيضا وهكذا[2].

ب- مضمون مؤلفات ابن أبي محلي :

أثار ابن أبي محلي في مجموع مؤلفاته وتقييداته مجموعة قضايا شغلت بال الرأي العام المحلي والوطني والإقليمي، وحتى المشرقي آنذاك، فكان أهم موضوع تطرق إليه موضوع تطرق إليه ونال السبق في جميع مصنفاته حديثة عن "المهدي المنتظر" فتحدث عنه بمناسبة أو بدونها مبنيا أراء علماء الإسلام، فكتب صفحات وأنشد قصائد ومقطوعات في مناجاة "المهدي المنتظر" داعيا إلى الظهور وملحا عليه في القيام بدور المنتظر في تغيير المنكرات المتفشية ونشر العدل بين الناس[3]، كما خصص صفحات من كتبه على نقد التصوف البدعي في شخص عبد القادر بن محمد المشهور بسيدي الشيخ[4].

1 القدوري.المرجع السابق، ص 97.

2 المرجع نفسه، ص 98.

3 حجي.**الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**،ج1، المرجع السابق، ص 228.

4 واحيحي.**مهداوية**، المرجع السابق، ص 74.

كما كانت له مساهمة كبيرة ورائدة في النقاش الفقهي حول مسألة "التبغ" من خلال فتاوية وأجوبته ومناظرته مع العلماء[1].

ج- خصائص و أسلوب الكتابة عند ابن أبي محلي :

تميز ابن أبي محلي في كتابته لجل تصانيفه بجملة خصائص نجزها فيما يلي :

- أنه تخصص في كل كتاب من كتبه بموضوع بدليل أنه قام بترتيبها وتفصيلها إلى أبواب وفصول وفروع، كما حرص على تفادي التكرار واللجوء دوما إلى إحالة القارئ على أبواب المسألة وهي طريقة متقدمة في الكتابة بالنسبة لعصره.

- أنه كان يلجأ باستمرار إلى طرح الأسئلة لأنها مفاتيح التعلم والفهم حسب نظره وبها يزيل الغموض أو الجهل عن القراء.

- أنه كان حريصا في ذكر مصادر أفكاره وأخباره في كتاباته للأمانة، وينبه على ذلك عندما لا يكون متيقنا منها، كما لجأ مرارا إلى استعمال الشهادة العينية أو الرواية الشفوية.

- أنه كان يتدخل في النصوص التي يوردها في كتاباته بلجوئه باستمرار إلى التضمين والاقتباس من القرآن والحديث ويورد الأشعار و الحكم الصوفية وأمثلة عن الإشارات التاريخية التي عاصرها.

- أنه كان يذكر القارئ بالعيوب والأخطاء التي كان يجدها في النصوص، أما عن أسلوبه فقد غلب عليه السجع، فكان لا يلجأ إلى تبسيط كتاباته[2].

1 من بين العلماء الذين ناقشهم في هذه المسألة شيخه سالم السنهوري.المرجع نفسه، ص 24.

2 القدوري.المرجع السابق، ص 89-92.

د- فهرسة لمخطوطات أحمد ابن أبي محلي :

المخطوط الأول :

- **العنوان الأول** :أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت[1].

- **العنوان الثاني** :عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر.

- **عدد النسخ** : يوجد مخطوط الإصليت في أربع نسخ، ثلاثة منها بالخزانة الحسينية بالرباط بالمغرب الأقصى، والنسخة رابعة بخزانة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

- **النسخة الأول** :رمزها الحرف "أ" وهي نسخة كاملة ومنظمة ومرقمة، تقع في 147 ورقة، مقاسها كبير 19.5 سم / 28 سم وعدد الأسطر في كل ورقة 29 سطرا، وفي كل سطر 17 كلمة، كتبت بخط مغربي مجوهر لا بأس به سريع بالمداد الأسود الملون للعناوين بالأحمر، حالتها حسنة، ناسخها هو محمد حسني على الورق، سنة 1137هـ/ 1627م.

بدايتها هي : "الحمد لله من الله تعالى بالشراء الصحيح والثمن المقبوض..."، ونهايتها هي : "...وهذا آخر ما نورده في الهودج في أواسط شوال عام ستة عشر وألف قيد بالوادي"، المخطوط به تعقيبات وحواشي، أتم ابن أبي محلي تأليفه بوادي الساورة –جنوب غرب الجزائر–[2] ضحوة يوم

---

1 **الإصليت** : الصقيل الماضي من السيوف، **والخريت** : الدليل الحاذق يهتدي آخرات المفاوز وهي مضايقها وطرقها الخفية، **والبلعوم** : مجرى الطعام في الحلق، **والعفريت** : الخبيث المنكر والنافذ في الأمر مع دهاء من الإنس والجن والشياطين، **والنفريت** : الخبيث المارد، ويأتي بعد العفريت على الإتباع، وقد فسر ابن أبي محلي الإصليت بقوله:

وما سمي الإصليت إلا لأنه	يصل إذا ما اهتز للصيت من يدي
صليل قطاة شاقها ورد مائه	إذا ظميء المغرور من كل فدفـــــد

بن منصور. المرجع السابق، ص 292.

2 أبو العباس أحمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلي السجلماسي العباسي(ت 1021ه /1612م).**أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الرسائل في مرج الأرج و نفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر**، دار الكتب المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، مخطوط رقم 431، ص 187.

الخميس 5 جمادى الثانية سنة 1016ه موافق لسنة 1607م. النسخة موجودة بالخزانة الحسينية بالرباط رقمها 100.

– **النسخة الثانية**: رمزها الحرف"ب" وهي نسخة غير كاملة تنقصها عشرة 10 أوراق من حجم النسخة "أ"، يقع في 368 صفحة، عدد الأسطر في كل صفحة 24 سطرا، وفي كل سطر 15 كلمة، الخط المغربي واضح حالتها تتخللها خروم في الأطراف وهي سيئة، النسخة خالية من أي ذكر لاسم الناسخ وتاريخ ومكان النسخ، بدايتها هي : "فالجزولي إذا شيخ العصابة بالمغرب..."، توجد فيها تعقيبات وحواشيها قليلة، النسخة موجودة بالخزانة الحسينية بالرباط رقمها 4442.

– **النسخة الثالثة** :رمزها الحرف "ك" ضاعت منها عدة أوراق وحتى تلك التي بقيت فإنها غير مرقمة ومصابة بخروم كثيرة جعلتها غير صالحة للاستعمال، إضافة إلى كل هذا فإنها لا تتوفر على أية إشارة لاسم الناسخ أو لمكان وسنة النسخ، النسخة موجودة بالخزانة الحسينية بالرباط رقمها 4009.

– **النسخة الرابعة**: عنوانها عذراء الوسائل وهودج الرسائل، تقع في 268 ورقة، مقاسها ومسطرتها مختلفة، الخط مشرقي بالمداد الأسود، حالتها حسنة ناسخها هو محمد مرتضى الحسيني على الورق، بالقاهرة بمصر، سنة 1191هـ/ 1777م[1].

بدايتها هي : "الحمد لله كما ينبغي لجلاله وكرمه وصلواته تعالى وتسليماته المباركات..."، ونهايتها هي : "...في أواسط شوال عام ستة عشر وألف قيد بالوادي وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"، النسخة بها تعقيبات وهي قليلة الحواشي، توجد بدار الكتب المصرية بالقاهرة –جمهورية مصر العربية– تحت رقم 431.

1 واحيحي.**مهداوية**، المرجع السابق، ص 31.

– **مضمون مخطوط الإصليت** :هو وليد رحلتيه الحجازيتين واتصالاته بعلماء الأزهر، فجاء تلبية لرغبة صديقه عبد الهادي أحمد المرصفي ومحمد الشريف الميقاني المعروف بالطحان، ناقش فيه مباحثات فقهية ولغوية كثيرة كالدخان والمهداوية والمهدي المنتظر...إلى جانب حديثه عن جملة من الفقهاء الذين أخذ عنهم خاصة من المشارقة[1].كما ترجم فيه لنفسه وتحدث عن نسبه ونشأته[2].

– **المخطوط الثاني** :

– **العنوان** :مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس نفوس السفلة المنخدعة.

– **عدد النسخ** :يوجد مخطوط المهراس في نسختين نسخة أول بالخزنة العامة بالرباط، ونسخة ثانية بالزاوية البوعبدلية ببطيوة بوهران بالجزائر.

– **النسخة الأولى** :رمزها الحرف" أ" وهي نسخة مجلدة بالورق المقوى، كاملة ومنظمة ومرقمة، تقع في 233 صفحة، مقاسها 15 سم/ 20 سم، عدد الأسطر في كل ورقة في معظمها 23 سطرا، وفي كل سطر 17 كلمة، الخط المغربي واضح، حالتها جد سيئة، ناسخها هو محمد الغندور ابن الحاج عبد الرحمان التزدايتي على الورق، يوم الاثنين 12 جمادى الأولى 1030هـ موافق نحو 4 أفريل 1621م بإقليم توات[3] جنوب غرب الجزائر، بدايتها هي : "بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..."، ونهايتها هي : "...فإنه لا حوله ولا قوة إلا بك أنت رب العرش العظيم، انتهى والحمد لله والصلاة والسلام على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم"،المخطوط توجد به تعقيبات وحواشيه قليلة، كما لا توجد به حليات ورسوم أو جداول، ألفه ابن أبي محلي بالساورة – جنوب غرب الجزائر–، يوم 10 ربيع الثاني 1019هـ موافق نحو 2 جويلية 1610م.

---

1 المرجع نفسه، ص 31.

2 بن منصور.المرجع السابق، ص 292.

3 تقع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية التي هي جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية، يشمل على عدد من الواحات والمدن والقصور تزيد عن 350 قصر.عبد الرحمن ابن خلدون.**ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، راجعه سهيل زكار،ج7، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1421ه – 2000م، ص 76-78.

المخطوط موجود بالخزانة العامة بالرباط بالغرب الأقصى تحت رقم 192 ك، كما توجد نسخة أخرى على شكل ميكروفيلم بنفس الخزانة تحت رقم 99058/ MMF، نوعيته 1461[1].

– **النسخة الثانية** :رمزها الحرف"ب"، وهي مخطوطة بالزاوية البوعبدلية ببطيوة بوهران بالجزائر بدون رقم التصنيف.

– **مضمون مخطوط المهراس** :تضمن المخطوط مسائل فقهية وبصفة خاصة المسألة المتعلقة بظهور المهدي المنتظر كما رد فيه على خصمه الشيخ عبد القادر بن محمد المشهور بسيدي الشيخ.

– **المخطوط الثالث** :

– **العنوان** :القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من السقيم.

يقع المخطوط في 157 صفحة وهو في التصوف، مسطرته مختلفة، الخط مغربي واضح بمداد أسود، حالته سيئة، ناسخه هو عبد الرحمان بن سليمان البازي نسبا الجومي دارا على الورق، بأواخر ذي القعدة 1013هـ موافق سنة 1604م، بدايته هي : " بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما..."، ونهايته هي : " يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه[2].

المخطوط فيه تعقيبات وقليل الحواشي ألفه ابن أبي محلي بدار سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بالشلالة الظهرانية، لأيام 6 أو 7 باقين من ربيع الأول 1012هـ موافق نحو فواتح سبتمبر 1603م، يوجد المخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقمه 570.كما توجد نسخة أخرى على شكل ميكروفيلم بنفس الخزانة تحت رقم 613[3].

– **مضمون المخطوط** :يهاجم فيه صهره سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد، كما تكلم فيه عن العلم والعمل والخلافة، وبصفة عامة التصوف.وقد ختمه بملحق سماه الغطاس وتابعة القسطاس،

1 بن منصور. المرجع السابق، ص 292.

2 سورة عبس، الآيات 34، 35، 36، 37.

3 بن منصور. المرجع السابق، ص 293.

يقول بأنه ألفه بتاريخ يوم 9 رمضان 1012هـ موافق نحو 10 فيفري 1604م وهو نائم على إثر مرض ألم به أقعده الفراش نحو 5 أشهر أشرف فيه على الهلاك.

– المخطوط الرابع :

– **العنوان** :منجيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة.

يقع المخطوط في 230 صفحة ضمن مجموع من الصفحة 127 إلى الصفحة 357 من المجموع، وعدد الأسطر في كل صفحة 23 سطر، الخط المغربي بمداد أسود واضح، حالته سيئة، وهو خال من أي ذكر لاسم الناسخ وتاريخ ومكان النسخ، رقم المخطوط هو 338 ضمن مجموع.

بدايته هي : "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله..."، ونهايته هي : "وبتاريخ عشية يوم جمعة في العشر الأواخر من ربيع الثاني أنالنا الله خيره وبره ووقانا شره وشر ما بعده وسلام على المرسلين والحمد الله رب العالمين "، توجد به التعقيبات، حواشيه وتعليقاته قليلة جدا، ألفه ابن أبي محلي بداره الجديدة بقرية بربي من بلاد بني جومي، عشية يوم الجمعة 20 ربيع الثاني 1017هـ موافق نحو 3 أوت 1608م، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالرباط وأخرى بالخزانة الحسينية الملكية بالرباط وهي نسخة جميلة الخط عددها 582 [1].

– **مضمون المخطوط** :يضم مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، تحدث فيه عن العكاكزة[2] وخصمه وصهره سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد وهو في الأصل تتمة لكتابه السيف البارق إذ اعتبر كما يقول لواحقه وبوارقة كما تضمن مسائل مختلفة حول إجاباته على العديد من القضايا المرفوعة إليه.

1 المرجع نفسه، ص 293.

2 قال عنهم ابن أبي محلي "...وهم قوما لا غيرة لهم عن الحريم ويقولون عن المرأة كالسجادة صل عليها وأعط لأخيك".ويقولون أيضا : " نحن نأكل من حبة ونبيت في جبة ونشرب من جعبة ". الو فراني.المصدر السابق، ص 323.

– **المخطوط الخامس** :

– **العنوان** :السيف البارق مع السهم الراشق.

يقع المخطوط في 95 ورقة ضمن مجموع مبدؤه من الورقة 358 إلى الورقة 453، وعدد الأسطر في كل ورقة بين 22 و 23 سطرا الخط مغربي واضح بالمداد الأسود، حالته سيئة، ناسخة هو أبو بكر بن عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر السكوني نسبا الشريف الحسني على الورق، ضحوة يوم الثلاثاء 4 رجب الفرض عام 1017هـ موافق 1608م، رقم المخطوط 338 ضمن مجموع بدايته هي : "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد و آله رسالة أحمد بن عبد الله إلى شيخ الغرور ورأس الفجور عبد القادر بن محمد المبتور..."، ونهايته هي : "الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين والحمد لله رب العالمين "، توجد فيه تعقيبات وقليل من التعليقات في الحواشي، ألفه ابن أبي محلي بقرية بريي من بلد بني جومي، عشية يوم السبت أخر جمادى الأولى عام 1017هـ موافق نحو 10 سبتمبر 1608م، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالرباط.

– **مضمونه** :هو عبارةعن كراريس مقسم إلى ثلاثة أبواب ومقدمة وخاتمة، عبر عنه باسم البندق وهو المدفع أو النفض الذي ترمى منه الأكوار، هاجم فيه صهره سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بعد أن بصر بحاله كما يقول محذرا الناس منه[1].

1 موساوي.المرجع السابق، ص293.

– **المخطوط السادس** :

– **العنوان الأول** :سم ساعة في تقطيع أمعاء مفارق الجماعة.

–**العنوان الثاني** :خنيجر مسموم في لبة خترير مذموم.

يقع المخطوط في 124 ورقة ضمن مجموع مبدؤه من الورقة 2 إلى الورقة 126، عدد الأسطر في كل ورقة 22 سطرا، الخط مغربي واضح بالمداد الأسود، حالته سيئة، وهو خال من أي ذكر لاسم الناسخ ومكان النسخ، في حين نجد تاريخ نسخه عشية يوم السبت 15 رجب 1017هـ موافق لعام 1608م، رقم المخطوط هو 338 ضمن مجموع، بدايته هي :"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله و صحبه وسلام ثم يقول الفقير أحمد بن عبد الله بن القاضي الشهير..."، ونهايته هي : " وكان الفراغ من نسخه عشية يوم السبت الخامس عشر من رجب عام سبعة عشر وألف ميمون إنشاء الله و الحمد لله رب العالمين"، لا توجد فيه تعقيبات أو حواشي، ألفه ابن أبي محلي ببني عباس بوادي الساورة بالجزائر صبيحة يوم الجمعة 14 رجب الفرد 1017هـ موافق نحو 24 أكتوبر 1608م، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالرباط[1].

– **مضمونه** :يرد فيه على ما كتب حول كتابه السلسبيل من طعن لما مكنه منه بعض الأصحاب الجراريين من بلاد تجرارين[2] أو جرارة المجاورة لبلاد توات بهذه الصحراء الجزائرية وهي حاليا دائرة تيميمون، وتضمن رسالة بعثها إلى أحد العلماء حول – الحكم بالاختلاء بالأجنبية، وما حكم من جهر أو سكت عن مبتدع يقوم بهذه الأفعال – ذيل بها كتابه[3] .

1 القدوري. المرجع السابق، ص 74.

2 تعرف أيضا بتيكورارين وكورارة، والتي تعني المعسكرات بالبربرية.تسمى اليوم بتيميمون ولايتها أدرار.قال عنها الوزان : "...منطقة مأهولة...بها ما يقرب على خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل، سكانها أغنياء لتجارتهم مع بلاد السودان...لهذه البلاد أراضي كثيرة صالحة للزراعة...".الوزان.المصدر السابق، ص ص 133-134.

3 القدوري.المرجع السابق، ص 74.

– **المخطوط السابع** :

–**العنوان الأول** :تمييج الأسود السود من العرب والبربر إلى أهل المدر والوبر والبحر والبر لتهجيج القردة والفهود والخزايا كاليهود من الأصفر.

– **العنوان الثاني** :تمييج الأسود.

المخطوط غير تام يقع في 16 ورقة، عدد الأسطر في كل ورقة 22 سطرا، الخط مغربي، حالته سيئة جدا، وهو خال من أي ذكر لاسم الناسخ وتاريخ ومكان النسخ، بدايته قصيدة شعرية تبدأ بالبيت :

ومن كل طود كالسيول إلى الوطا لعلى بهم انطوا على كل جاحد...[1].

ونهايته هي :" وارتفعت كلمة النصرانية الوضيعة على كلمة المحمدية الرفيعة و طال سيف النصارى وقصر الساورة بالجزائر، ضحوة يوم الخميس 17 ذي الحجة عام 1019ه موافق نحو 2 مارس 1611م، المخطوط بدون رقم التصنيف وهو موجود بخزانة سيدي أحمد ديدي البكرية بتمنطيط بإقليم توات بالجزائر كما توجد نسخة أخرى منه محفوظة بمكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي ببطيوة بوهران بالجزائر[2].

– **مضمونه** :هو شعر حماسي، يشكل دعوة صريحة لقيامه ضد السلطة السعدية وصرخة لتحريض القبائل والعلماء للقيام بالجهاد ومقاتلة الإسبانيين الذين كانوا يحتلون وهران، معلنا الفضيحة والعار والخديعة على تسليم العرائش[3].

1 بن منصور.المرجع السابق، ص 293.

2 المرجع نفسه، ص 293.

3 حجي.**الحركة الفكرية**، ج1، المرجع السابق، ص 132.

– **المخطوط الثامن** :

– **العنوان** :جواب الخروبي.

يقع المخطوط في 162 ورقة وهو في التصوف، مقاسه 27 سم/ 19 سم، وعدد الأسطر في ورقة 21 سم، الخط مغربي معتاد بمداد أسود، حالته لا بأس بها لكنه مبتور الأول وبعض أورقه مخرومة، وهو خال من أي ذكر لاسم الناسخ ومكان وتاريخ النسخ، بدايته هي :" جلوا مدارك كل أكمة..."، ونهايته هي :" والحبيب جفان"، ألفه أخر جمادى الأولى أو غرة الثانية عام 1000هـ موافق نحو 1591م بلكتاوة ببني مسنان بدرعة، المخطوط موجود بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم 611 ك.

– **مضمونه** :الكتاب عبارة عن رد عن رسالة سيدي محمد الطرابلسي الخروبي[1] إلى أبي عمر القسطلي المراكشي[2]، فرد عليه برسالة مطولة وعنيفة، كما يشير إلى ذلك في الورقة 14 من المخطوط.

– **ملاحظة** :المؤلف غير مذكور بسبب البتر الحاصل في الكتاب، ويذكر في كتابه هذا أن له مؤلفا بعنوان – الوضاح لكل متمشدق فضاح–[3]

1 هو أبو عبد الله محمد الخروبي، فقيه الجزائر في عصره، مفسر، محدث، من كبار العلماء، ولد بقرى طرابلس الغرب، نشأ بالجزائر له عدة تصانيف منها: " شرح صلاة ابن مشيش" و" تفسير القرآن". عادل نويهض.**معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الح**اضر، ط.2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1400ه/ 1980م، ص 132.

2 هو أبو عمرو بن أحمد الأمين بن قاسم القسطلي المراكشي، ولد سنة 912ه، من أشهر رجال الصوفية بمراكش تنسب له الزاوية البوعمرية.السملالي.المصدر السابق، ص 241.

3 حجي محمد.**الزاوية الدلائية**، المرجع السابق، ص 132.

– **المخطوط التاسع** :

– **العنوان** : جواب للقاضي محمد عبد الله الجراري[1] .

يقع المخطوط في 17 ورقة، عدد الأسطر في كل ورقة 16 سطرا، الخط مغربي معتاد ملون بالأحمر، حالته سيئة، ناسخه هو أحمد بن محمد(؟) من نسخة مقابلة للأصل المكتوب بخط مؤلفه أحمد ابن أبي محلي، يوم الجمعة 2 شوال عام 1024هـ موافق نحو 24 أكتوبر 1596م، لا يوجد ذكر لمكان النسخ، بدايته هي : "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله و صحبه وسلم الحمد لله الذي طهر قلوب أوليائه من دنس..."، نهايته هي : " ثم السلام وبه الختام "، لا توجد فيه تعقيبات أو تعليقات، ألفه ضحوة يوم الخميس 17 ذي الحجة عام 1019هـ موافق نحو 2 مارس 1611م بإقليم توات بالجزائر.

– **مضمونه** :جواب من ابن أبي محلي على سؤال على المعرفة بالله سأله إياه قاضي قورارة وهو القاضي محمد عبد الله بن عبد الكريم الوطاسي المريني نسب الجراري دارا[2].

---

1 هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الجراري تلميذ وصهر سيدي الشيخ.فقيه متمكن وشاعر ناثر، تولى قضاء بلده.له في شيخه سيدي الشيخ قصائد مدحية عديدة، منها قوله :

رأيت شيوخا من شعوب كثيرة فلم أرى مثل الشيخ عبد القادر

شغفت بحب الشيخ عبد القادر فأذهلني عن القضا في الخصومة

يشير إلي بالقضا غير مـــــرة ويأمرني بالفصل بين الخليقـــة

توفي 1035ه/ 1625م، وهو دفين قرية أولاد سعيد بتيكورارين.بن علي محمد بوزيان.**فجيج في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع**، مطبعة الجسور، وجدة، 2005، ص 313.

2 واحيحي.**مهداوية**، المرجع السابق، ص 30.

– **المخطوط العاشر** :

– **العنوان** :حدراء القصائد وعذراء الولايد.

يقع المخطوط في 15 ورقة، الخط مغربي بمداد أسود حالته سيئة جدا، وهو خال من أي ذكر لاسم الناسخ وتاريخ ومكان النسخ، بدايته هي : " بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم هذه وصية أحمد بن عبد الله بن أبي محلي الفيلالي لولده محمد العربي..." ونهايته هي :" تحصيله وكل ما كنت ..."، عليه تعليقات في الحواشي ألفه ابن أبي محلي في أواسط جمادى الأولى عام 1006ه موافق نحو 24 ديسمبر 1597م ببني عباس بوادي الساورة بالجزائر[1]، توجد نسخة من المخطوط بخزانة تامكروت بالمغرب تحت رقم 1628 ضمن مجموع – و –[2]، أما أصل المخطوط فهو محفوظ بخزانة سيدي أحمد ديدي البكرية بتمنطيط بإقليم توات بالجزائر.

– **مضمونه** :الكتاب عبارة عن قصيدة في نظم بحر البسيط قافيته دالية، استهلها بمقدمة يوصى فيها ابنه سيدي محمد العربي على التعليم واكتساب المعرفة[3].

1 الإدريسي عبد الله حمادي.**كتابات ابن أبي محلي نزيل الساورة(ت 1021 / 1612م) من مصادر تاريخ هذه البلاد وتخومها المجاورة**، ملتقى بشار : دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، سلسلة القوافل العلمية (2)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010، ص 78.

2 محمد المنوني.**دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1405ه/ 1985م، ص97.

3 واحيحي.**مهداوية**، المرجع السابق، ص 30.

- **المخطوط الحادي عشر** :

- العنوان : قصائد أم العطابيل.

المخطوط يقع في 15 ورقة، عدد الأسطر في كل ورقة 14 سطرا، خطه مغربي واضح ملون، حالته جيدة، المخطوط خال من أي ذكر لاسم الناسخ وتاريخ ومكان النسخ، كما هو خال من أي ذكر لتاريخ ومكان التأليف، بدايته هي :

القلب والطرف منتظر من كان مثلي فقل قامت قيامته...

ونهايته هي :" و الحمد لله وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين".المخطوط توجد فيه تعقيبات، المخطوط موجود بخزانة سيدي أحمد ديدي البكرية بتمنطيط بإقليم توات بالجزائر[1].

-المخطوط الثاني عشر :

- **العنوان** :تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة.المخطوط يقع في 5 صفحات، مقياسه 18 سم/ 13 سم، عدد الأسطر في كل ورقة مابين 20 و 28 سطرا، الخط مغربي حروفه صغيرة، حالته جيدة، المخطوط خال من أي ذكر لاسم الناسخ وتاريخ ومكان النسخ، كما هو خال من أي ذكر لتاريخ ومكان التأليف، بدايته هي : " الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم هذا تقييد ما وقفنا عليه في تعريف مدينة سجلماسة..."، ونهايته هي : " وبها توفي -رحمه الله- فكانت مدة ولايته ما أشار إليه به شيخه سيدي أحمد بن مبارك الزعري التستاوي كما ذكر أعلاه نفعنا الله به آمين"، المخطوط توجد فيه تعقيبات، وهو موجود بالخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم 12163، وهو ليس النسخة الأصلية بل هو مجرد نسخة منقولة، كما أن المخطوط محقق من طرف الأستاذ سعيد واحيحي وهو مطبوع.

1 المرجع نفسه، ص 32.

– **مضمونه** :تعريف لمدينة سجلماسة المغربية[1].

– **المخطوط الثالث عشر** :

– **العنوان** : الوضاح لكل متمشدق فضاح تركه عند المشارقة، وهو في علم التصوف والحقائق والمعارف[2]، ذكره ابن أبي محلي في طالعة كتابه الذي أجاب به الخروبي، تحدث فيه عن حقيقة الشيخ وما يحتاج إليه في أمره، فعقد له بابا منفردا يضم 10 فصول، وكل فصل يشتمل على أمرين من أموره، وكان تأليفه له ما بين 1008هـ / 1599م و 1011هـ / 1602م.

– **المخطوط الرابع عشر** :

– **العنوان** :الوسيلة إلى الله، وهو عبارة عن مجموع أبيات توسل من خلالها إلى الله بسور القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس حسب ترتيب القرآن الكريم، نسخ عام 993هـ/ 1585م، المخطوط موجود بخزانة الإمام علي تارودانت بالمغرب، وهو ضمن مجموع من الصفحة 228 إلى الصفحة 230 تحت رقم 147[3].

– **المخطوط الخامس عشر** :

– **العنوان** :سلسبيل الحقيقة في سلسبيل الشريعة للخلق، ألفه ابن أبي محلي بالساورة جنوب غرب الجزائر يوم الخميس 26 من ذي القعدة 1019هـ في الشهور التي أعلن فيها ثورته موافق لسنة 1610م، يوجد من المخطوط نسختان الأولى موجودة بالخزانة الملكية الحسينية بالرباط، وهي نسخة تامة رقمها 4733 من 1 – ب – إلى 206 – أ –، كتبت بخط مشرقي جميل مذهب ملون مؤطر، انتهى من نسخها يوم الخميس 16 ربيع الثاني عام 1022هـ/ 1613م، وهو متملك بمراكش،

1 المرجع نفسه، ص 102.

2 ابن أبي محلي.**الإصليت**، المصدر السابق، ص 30.

3 واحيحي.**سجلماسة/تافيلالت**، المرجع السابق، ص 298-299.

ولا شك أن ناسخها أحد نساخ ديوان السلطان أحمد المنصور السعدي لوجود قرائن تدل على ذلك[1].

– **مضمونه** : أورد فيه مباحث صوفية، وذكر طبقات الأولياء، وقضية المهدي وشروط الخلافة، وأرزاق الخطباء والأئمة والمفتين، وأشار إلى أنه لما كان يحرر صفحته الأخيرة وصلت أخبار غير مؤكدة عن استيلاء إسبانيا على العرائش فنظم قصيدة قافيتها شينية في الحث على الجهاد تمرد فيها على اللغة والقافية والوزن[2].

ومما سبق ذكره نلاحظ أن جل مؤلفات الفقيه أحمد ابن أبي محلي لا تزال مخطوطة وهي بحاجة إلى من يعتني بها ويقوم بالتعريف بها وتخريجها خاصة من قبل الباحثين والمؤسسات العلمية.فمخطوطات ابن أبي محلي تعتبر من الكنوز التراثية التي تزخر بكم هائل من الفوائد العلمية وهو ما حاولنا إظهاره من خلال وضعنا فهرسة اجتهدنا فيها أن نقدم وصفا وصورة دقيقة لهذه المخطوطات خدمة للباحثين والمهتمين والدارسين.

ثانيا– شعر ابن أبي محلي :

لقد أبدع احمد بن أبي محلي في نظم القصائد الشعرية، ولا تخلو جل مؤلفاته من مقطوعات شعرية، فيقول عن نفسه أنه شاعر بالفطرة، لأنه من عاداته عدم التكلف في الشعر رغم أنه لا يرضاه لنفسه وقد ساهم شعره بفعالية في نشر أفكاره النقدية بين العامة والخاصة، لكن أكثر الموضوعات التي تناولها في جل أشعاره هي الاعتزاز بأسرته ونسبه والافتخار بنفسه فقد أنسد يقول:

بلغنا حمد الله نجده عنتر وحكمة قيس زادها جود حاتم

وفي عدل والإحسان والسخي والرضى شبيه رسول الله بحر المكارم [3]

1 القدوري.المرجع السابق، ص 74.

2 بن منصور.المرجع السابق، ص 294.

3 واحيحي.**مهداوية**، المرجع السابق، ص 33.

وهذا الافتخار بالنفس، احتل مركز الخطاب في جل كتاباته، نثرا، أو نظما منذ البداية إلى النهاية، فكان يتكلم عن نفسه باستمرار، والأخر لا يظهر في خطاب إلا كمكمل، أو كموضح للشخصية المحورية "الأنا المركزية ".

أما الهجاء فقد أبدع فيه، أشاد، وكان هجاءه خبيثا، خاصة مع ألذ أعدائه، كما تدل على ذلك أهاجيه مع الشيخ الحاجي يحي بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم، وعبر عبد القادر بوسماحة المدعو "سيدي الشيخ معاصره، ومنافسه على الزعامة في منطقة الظهرة إلى توات فقد قال له في حقه :

لقد جلت مشرق البلاد وغربها فلم أر دجالا سواك يجعجع [1]

فقد كان أحمد بن أبي محلي مديد الباع واسع الإطلاع على العلوم الدينية والأدبية يستحضر النصوص المتعددة ويحتج بها في تأييد أفكاره وترجيح دعاويه،ينظم الشعر عن طريقة الفقهاء يجيد فيه و يسف، ويثقل ويخف، كثير التأليف حاد اللسان عنيف الجدال خبيث الهجاء[2].

ومن شعره قوله مذيلا بيت سلطان العاشقين عمر ابن الفارض

(عديني : وصل وامطلي بنجازه فعندي إذا صح الهوى حسن المطل)

ولا تشمتي بي العدا من عداها فحمل الأذى ليس الردى معنا سهل

وقطع حبال الود عـــار وأنتـــم أعزحبالا إن ينالـــــكم العـــــدل

ولا تبخلوا بالوصل عني فإنكم أجل مقاما إن يضاف لكم بخلعودوا

ولي بالطيف مرضى جفاكـــم ولا تقتلوا بالصدر ولا له حـــــول

فما ذنب صاب مالها قط عنكم وما عيب صب في هوام لايســـلو

إلى من أشاكي ضيعتي وقلاكم وقد عيل صبري عنكم ولكم فضل

1 واحيحي.**سجلماسة/تافيلالت**، المرجع السابق، ص 301.

2 بن منصور.المرجع السابق، ص 290.

فأين ذمام العهد يا غاية المنلقد ساء حسن الظن وانقطع الحـــبل
وطال انتظاري ليـــــلة بعد ليلة بشيرا ولو في النوم تتبعه الرســـل
اعل جوابا في كتـــــاب لديهم يعزي مصابا خانه فيكم الوصـــل
فما حلة المطرود عن باب نبلكم وما علة المسدود من فضلكم حل[1].
وما يصنع المهجور إن سبق القضا بحرمانه من وصلكم فله الويـــــل
ومن يقصد الآمال من بعد هذه إذا لم تواسوا ضائعا ماله من أهل
ومن يرحم المسكين من بعد خيبه وسوء انقلابي عنكم و بكم طول
فما سبب الاعراض والوصل هين عليكم ولابن القاضي عندكم آل
أليس فؤادي موطنـــا لهواكـــــم ومجدكم نضب العين واسمكم يحلو
أسائل عنكم من لقيـــت لـــعلني أرى من وراءكم في سؤالي أو قبل
وأصبو إلى أطلالكم في ربوعـــكم وخذي لعبد يأتي من عندكم نفل
فوا شوقتي من طول غيبتكم، وكم أنادي عليكم كـــما جنني الليـــل
ويا لو رأيتم ما يقاسيه فيكـــــم محبكم المختل من ذاته العقـــــل
يتردد واغوثاه في موقف الأسى لعل مغيث اللهث يسمع ما يسلو
أبيت وأضحي طاويا في حكايتي ولا لذ لي في العيش شراب ولا أكل
والهاني همي عن بني و جـــارتي وأوهاني عنمي و انتظامي مخل
فوا أسف اللهفان والغوث غائب ويا حسرة الحيران ضاقت به السبل
ومن ذا الذي يهدي ضليل هواكم وليس له وحقكم دونكم شغل
فإن تقطعوه تقطعوا حبل عبدكم وإن تصلوا فإنما زاركم خل
وهب إني عبد المال و الفقر شيمتي الكم فعر المال من دونكم دل
فما المال والاهلون يسلون عنكم ولا غير ذلك لا أبي ولا نجل

1 المرجع نفسه، ص291.

وكيف وقد أصبحت والعلم حاجتي وقلبي للوقت من أجله الجهل[1]

إلى جانب مقطوعات متفرقة في جل كتاباته المعروفة، بل نجده يفرد له قصيدة سماها "**الغطاس وتابعة القسطاس**" يقول بأنه ألفها وهو نائم على أثر مرض ألم به 9 رمضان 1012هـ 1603م، وهي طويلة، يقول في مطلعها :

فمن بلغ عني سماحة ماكر بفج فجيج حيث سوق المناكر

مغلغلة تحمي الذمار سلامها صخور سلام جبال راضخات الجبابر

إذا زلزلت أرض البغات وبعثرت قبور العتات بين شاق وفاجر

وظفر ليث بالمظفر غيره فأصبح يعوي كلبه من أظافر

هنالك يدري من أنا كل ظالم ولص وأني كابر وابن كابر[2].

كما أبدع في مواضيع أخرى، الأشعار الحماسية، في محاولة منه "لتهييج الأسود"إثر قيامه، فكان أن نظم شعرا حماسيا لما أخذت وهران من طرف الإسبان، فراسل بذلك رؤساء القبائل مثل الشيخ عبد القادر الراشدي، لكون بني راشد هم اللذين حملوا مشعل الجهاد في تلك النواحي، فحلاهم بقصيدة رائية، كما خاطب الأتراك يحثهم على الجهاد، واسترجع الثغور و طرد الإسبان، أما أروع قصيدة حماسية نظمها ابن أبي محلي، فهي تلك التي نظمها بعدما سلم السلطان السعدي العرائش، فكنت بذلك هذه "**المساومة**"" الخدعة" النقطة التي أفاضت الكأس بالنسبة لابن أبي محلي، الذي عرف كيف يستغلها بعدما مهد لذلك بمجموعة من التأليف، نثرا ونظما، يعزي فيها واقع المغرب الأقصى فكان عليه إذن أن يستجمع كل قواه الفنية والأدبية، ليوظفها في قالب حماسي في محاولة منه لاستنهاض الهمم، فشكلت بذلك منعطفا في حياته الفكرية، وهي الانتقال من السخرية التي طبعت كتاباته اتجاه السماحي إلى إعلان الجهاد.

1 المرجع نفسه ، ص 299- 230.

2 واحيحي.**سجلماسة/تافيلالت**، المرجع السابق، ص301-302.

ونظرا لمكانة مؤلفاته، والقضايا التي كان يثيرها بين ثناياها، مبينا موفقه الصارم، والواضح حول العديد من الإشكاليات.

بدون أن يخشى لومة لائم، فإنه كان يقف موقف الند حتى مع أساتذته بالمناظرة والمجادلة[1]، فقد عرفت كتاباته شيوعا ليس فقط في المغرب، بل حتى في المشرق، فكان أن شنع عليه البعض، كأبي العباس أحمد التواتي في رسالة له "**مقامة التجلي والتخلي من صحبة ابن أبي محلي**"، نبه فيها عن عدم صحبة ابن أبي محلي السجلماسي، يقول عنها **صاحب الأعلام بمن حل مراكش وأغمات**، وأنها طويلة، ومسجعة، وقد أورد مقتطفات منها[2].

فيا ليت شعري ما تقول المشارق وصادق فجر بالأشعة شارق
أفي الصبح شك و البدور شواهد وقولي بك أم هدى وحقائق
وحكي بالقسطاس في كل وارد من الله حق أم هوى ومخارق
وفي هودج العذراء فاقضوا بما ترى أئمتكم والعلم للوهم ما حق
فإن مريد الغرب يزعم أنكم إذا ما أقول تضحكوا أو تنافقوا
ويا أهل مصر مقالي فيكم كما قال جاف أم حديثي خارق
ونظمي من المكنون أم ضرب الخنا جرى سفها بالله وما هو صادق[3]

إضافة إلى هذا نجد كذلك من دواوين شعر ابن أبي محلي قصائد "**أم العطابيل "الهاوية"** وقصائد "**جذراء القصائد وعذراء الولائد**، التي كتبها بني عباس في جمادي الأولى 1066هـ

1 مجادلة شيخه سلم السنهوري حول قضية التبغ، وكان يدافع بكل استماتة عن موقفه الإيجابي اتجاه عشبة التبغ، دون أن يفتح لشيخه أي مجال للرد، حتى وافته المنية، فوجد شيخه وبعض العلماء الآخرين فرصة للرد عليه، بل نعتوه بأقبح النعوت، حتى ذهبوا إلى القول بأن ابن أبي محلي هو الذي أدخل التبغ إلى مصر في حجته الحجازية عام 1003هـ 1594م فكان أن صحب معه أحمالا منها.المرجع نفسه، ص 302.

2 المرجع نفسه، ص 303.

3 القدوري. المرجع السابق، ص 134.

ديسمبر 1597م والقصيدة الرائية المكونة من واحد وأربعون بيتا ذم من خلالها موقف قبائل بني عامر وتخاذلهم عن أداء فريضة الجهاد ضد الإسبان[1].

أما المدافعين عنه من الفقهاء من طبقته، فكانوا يعبرون بحق عن ما يجول بخاطرهم حول هذه الشخصية فمدحوه، كقاضي جرارة محمد بن عبد الله بن عبد الكريم، بقصيدة نظمها عشية 17 ذي القعدة 1004ه 1595م، تضم 14 بيتا يقول في مطلعها :

ألا يابا العباس أحمد هل لنا سبيل إلى لقاء مع فسحة العمر

فنحظى به بالصالحات وكل ما نسر به اليوم والغد والحش

روينا بأن المرء يوم جرائنا سيحشر أحبابه بعدما النشر

هنيئا لأهل المغرب إذ حل أفقهم أمام حكيم عالم سامي القدر

تسمى بأحمد بن عبد الله هنا له شأن أهل الزهد و الفضل والذكر

هلموا لتأخذوا من علومه وتقتبسوا من نوره سبيل الخير

شهدنا له بأنه شمس وقته ولسنا بغير الحق نشهد في الأمر[2]

1 برشان. المرجع السابق، ص 203.

2 واحيحي.**سجلماسة / تافيلالت**، المرجع السابق، ص 303، 304.

خاتمة

من خلال دراستنا للموضوع الموسوم بأحمد ابن أبي محلي الفيلالي السجلماسي توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات التالية :

اكتسب أحمد ابن أبي محلي شهرة واسعة بين رجالات العلم في عصره، بفضل مواقفه ومؤلفاته التي جمعت بين علمي الباطن والظاهر، وإلى جانب رصيده العلمي لقد تمتع هذا الأخير بمنزلة كبيرة عند أهل السياسة لما كونه لنفسه من جاه ونفوذ بين القبائل الصحراوية.لأن عصره كان مليء بالفوضى والاضطرابات السياسية، وما انجر عنها من اضطراب أحوال الناس في أمنهم وأرزاقهم، فقد استغل أحمد ابن أبي محلي تلك الأوضاع وتلك المكانة في الدعوة لنفسه على أنه المهدي المنتظر، كما لجأ إلى تأويل النصوص وتوظيفها في دعوته مستغلا الأوضاع المتردية في عصره.لقد كانت منطقة الساورة التي مكث فيها ما يقارب عشرين عاما أرضية خصبة لنجاح دعوته، ونقطة ارتكاز في إعلان ثورته التي استهدف من خلالها تغير الواقع بما يتماشى مع تطلعاته واجتهاداته.

كما تعتبر حركة أحمد ابن أبي محلي، الحركة الأولى ضد السلطة السعدية، وبرغم من ذلك، فإن الذين تناولوا شخصية أحمد ابن أبي محلي، لم يكونوا ينظرون إليه كالعياشي، أو يحي الحاجي الذي وضع حدا لمغامراته، وليس شخصا مقدسا كمنافسه سيدي شيخ سماحي، وليس رئيسا دينيا صوفيا، مثل محمد بن أبي بكر الدلائي زميله في الدراسة، فاختلفت الرؤى، والقراءات لثورته، بتعدد نصوصه، وأرائه، وتداخلت أفكاره المنهمرة في سقف ملحمي النابعة من أصول فقهية، وممارسة صوفية، ومؤثرات بيئية تداخلت وتكاملت مع نفسه الطامحة إلى مجد لم يكتب له السؤدد مجسدا بذلك الطموح الذي راوده منذ الصغر بحيث كان يقول : "أنه لا يرضى أن يكون تابعا بل متبوعا ".

كما أن ثورته لم تكن عفوية مستغلة الحماس الديني وإعلان الجهاد، ولا حركة جهوية، تريد استغلال الأوضاع المزرية للبلاد وضعف السلطة المركزية لإعلان الاستقلال الذاتي، يتجلى هذا في طبيعة ونوعية المخطوطات التي خلفها أحمد ابن أبي محلي قبيل الإعلان عن حركته، والتي

تزيد عن الألف ورقة، وتوزعتها مخطوطاته المعروفة (أجوبة الخروب، الإصليت، تقيد في تعريف بمدينة سجلماسة، المنجيق...) وآخرون في عداد المفقودين .

ومن المؤكد أنه بقراءتها، ومقاربتها قد خطها بنفس واحدة وفي أقل من عشر سنوات الشيء الذي يعكس مزاجه الحاد ويعبر بصدق وحماس يعتمل في نفسه ويختلج في صدره، ويشغل فكره كفقيه ومتصوف عايش أحداث العنف والفتن.

ونعترف في هذه الخاتمة أن دراستنا ما هي إلا نافذة صغيرة، حاولنا أن ننظر من خلالها إلى شخصية أحمد ابن أبي محلي، الفقيه الثائر، التي لا زالت كثير من جوانبها غامضة وغير مفصول فيها.

لقد وضعنا للباحثين لبنة أساسية عنها من خلال محاولتنا لهذه الدراسة المتواضعة التي لابد من المزيد من البحث والنظر فيها قصد الكشف على الكثير من خصوصياتها.

ولله الحمد وبالله التوفيق; هو حسيبنا ونعم الوكيل.

ميمونة عشار وسميرة قوادري.

الإقامة الجامعية كارمان 3.تيارت.

يوم 26 أفريل 2016م الموافق ل 19 رجب 1437 هـ.

الملاحق

ملحق رقم: 01

مخطّط نسب أحمد ابن أبي محلّي [1]

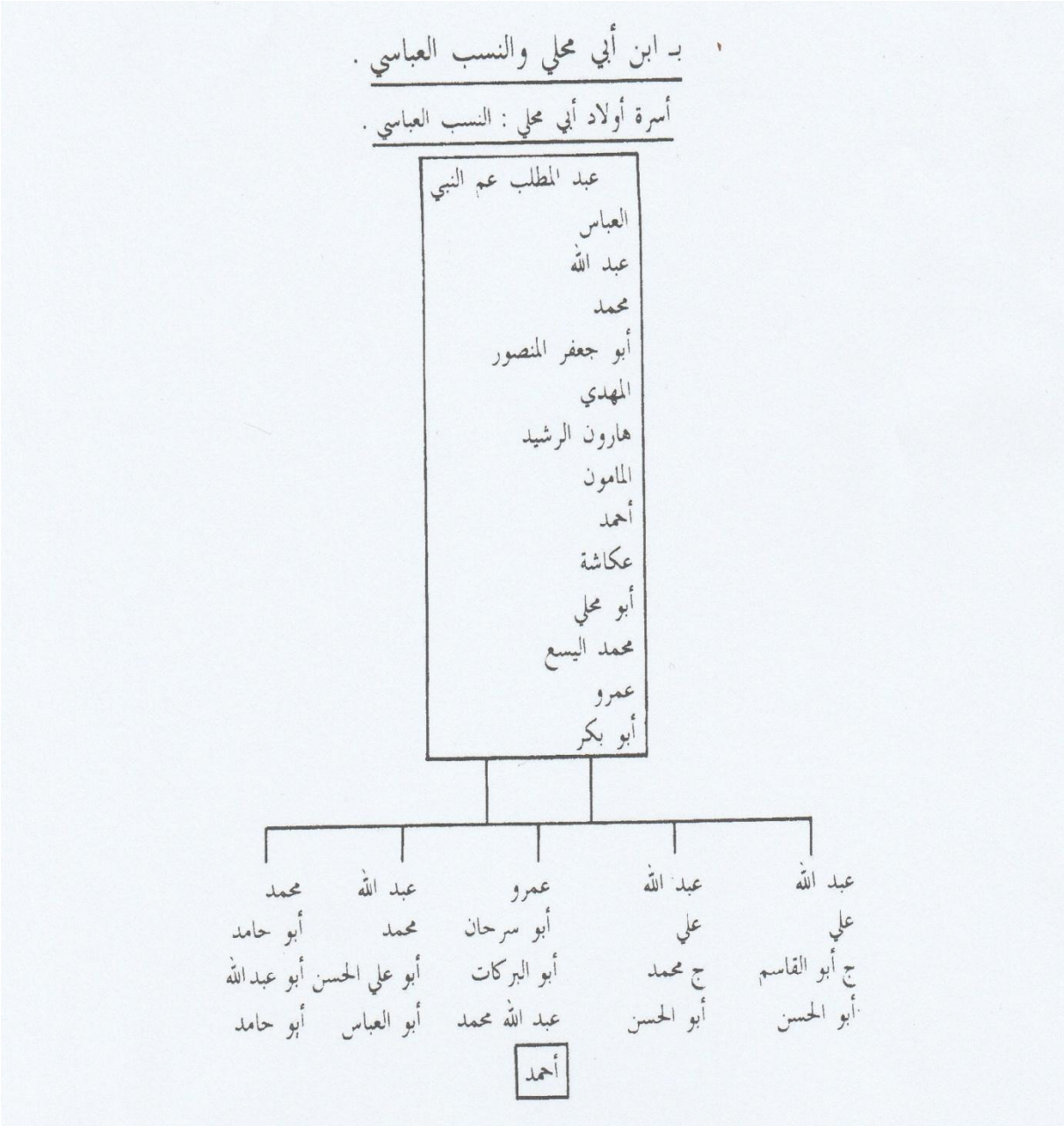

1 القدّوري، المرجع السابق، ص 54.

ملحق رقم:02

مخطط أسرة آل قاضي[1]

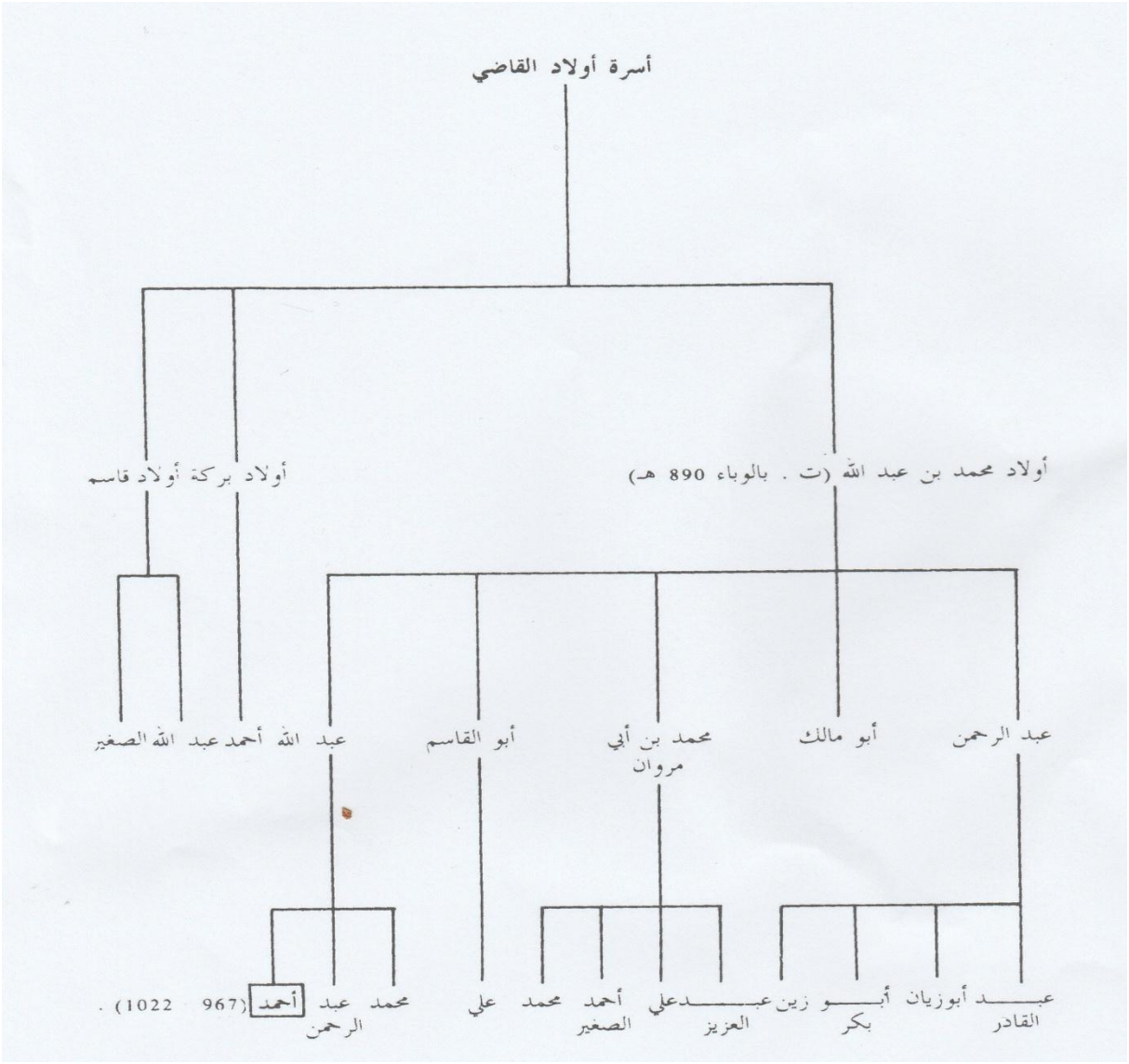

1 المرجع نفسه، ص 55.

ملحق رقم: 03

خريطة تمثل مسار رحلاته العلمية[1]

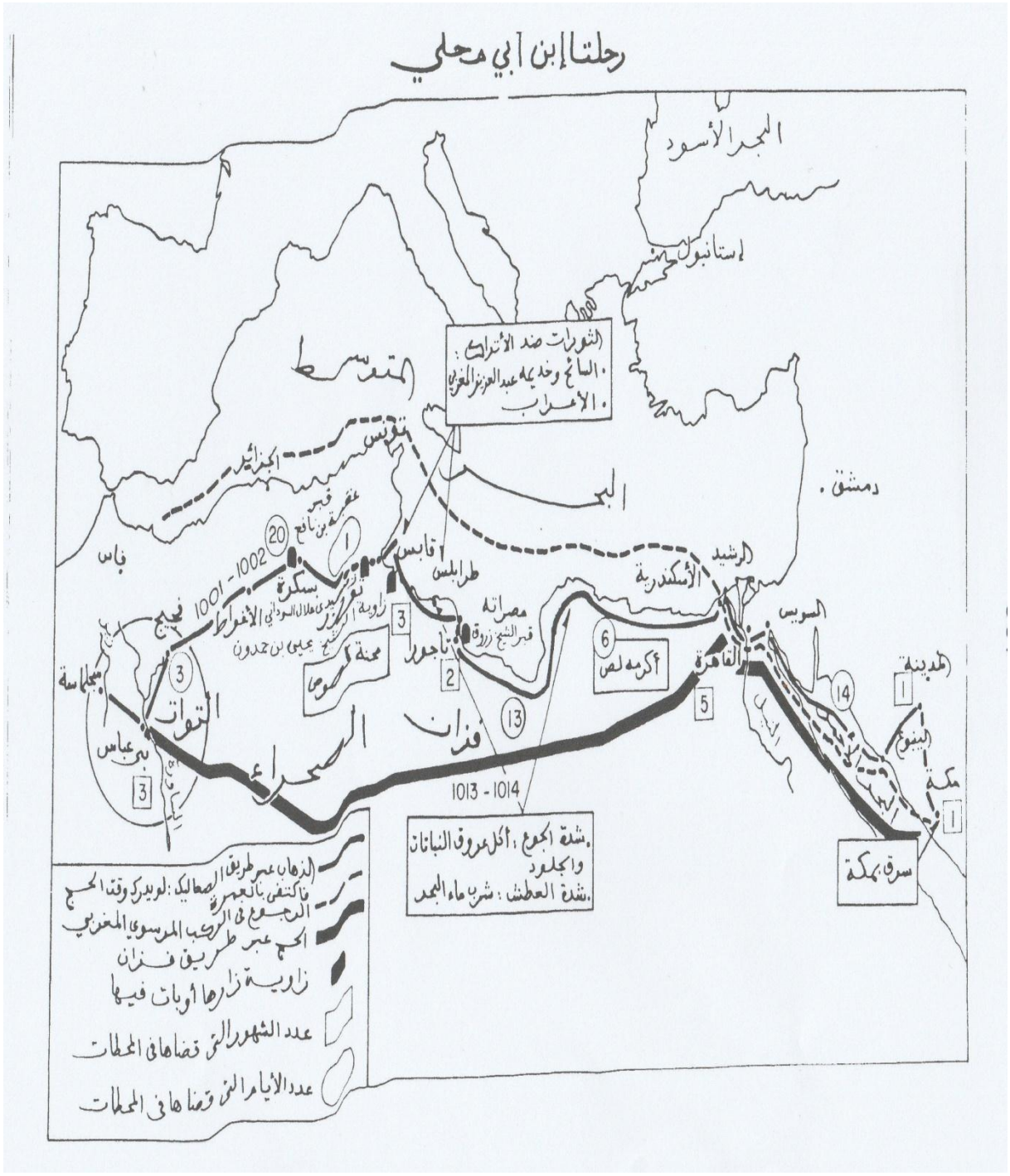

1 المرجع نفسه، ص 100.

ملحق رقم: 04

صفحات من مخطوط الأصليت ص 3-4

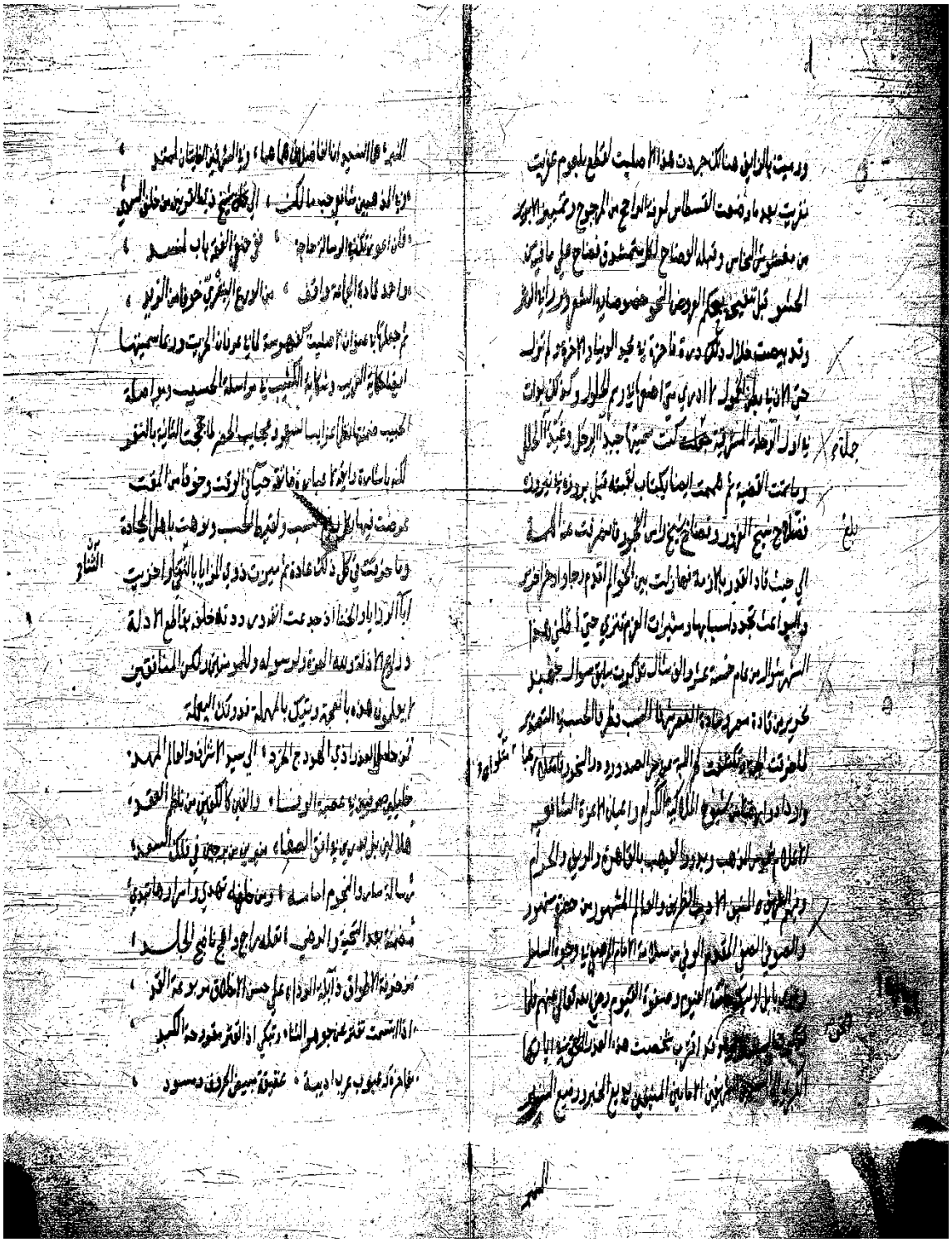

ملحق رقم: 05

صفحات من مخطوط المهراس ص 25

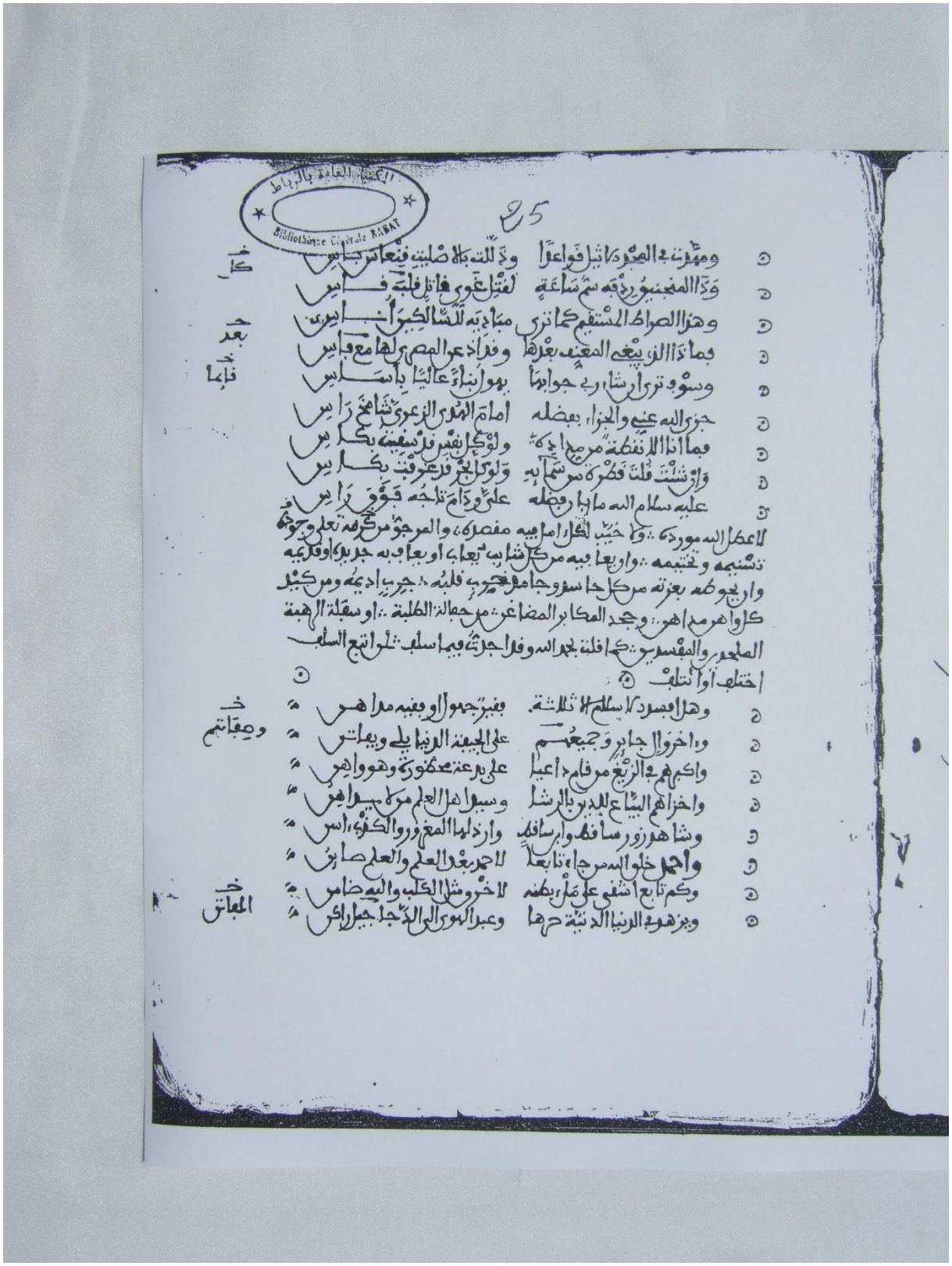

ملحق رقم: 06

صفحات من مخطوط المنجيق ص 132_133

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أ) المصادر العربية المخطوطة المطبوعة:

بن أبي محلي أبي العباس أحمد بن عبد الله بن القاضي السجلماسي العباسي(ت 1021هـ / 1612م):

1. أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر، دار الكتب المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، مخطوط رقم 431.
2. مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس النكوس السفلة المنخدعة، الخزانة العامة، الرباط، مخطوط رقم 192.

ب) المصادر العربية المطبوعة :

3. ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، راجعه سهيل زكار، ج7، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1421هـ / 2000م.
4. سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تع، وتق، عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، سبتمبر2007 م.
5. السملالي العباس ابن ابراهيم، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، تح، عبد الوهاب المنصور، ج2، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/ 1939م.
6. الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح، عبد الكريم كريم، ط.2، الرباط، 2005م.
7. القادري محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح، محمد حجي وأحمد التوفيق، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، الرباط، 1397هـ/1977م.
8. مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تح، عبد الرحيم بنحادة، ط.1، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، 1994م.

9. الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج1، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.

10. الوفراني محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله، نزهة الهادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مطبعة بريدين، أنجي، 1888م.

11.اليوسي الحسن، المحاضرات في الأدب واللغة، تح، وتق، محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج1، ط.2، منشورات الجامعة.

ج) المراجع العربية :

12.باشا محمد ابن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر في أخبار الجزائر، المطبعة التجارية غرزوزي جاويش، الإسكندرية، 1903م.

حمادي عبد الله الإدريسي:

13.السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه الإمام أحمد ابن أبي محلي مهدي وادي الساورة (967هـ / 1560م – 1021هـ/ 1612)،ج1، سلسلة إحياء التراث التاريخي والثقافي لولاية بشار وصحاري جوارها الجزائرية (4)، ط.1، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434هـ/ 2013م.

14.الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات، ج1، ط4، دار الكتاب الملكي، الجزائر، 2013م.

غطاس عائشة وآخرون:

15.الحرف والحرفيين بمدينة الجزائر(1700- 1830)، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر،2007م.

16.الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1نوفمبر1954م، الجزائر،2007م.

17.بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962م، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997م.

18.بوزيان بن علي محمد، فجيج في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع، مطبعة الجسور، وجدة، 2005م.

19.الجميعي عبد المنعم، الدولة العثمانية والمغرب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002م.

20.الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر،2007م.

حجي محمد:

21.الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط.1، الرباط، 1409هـ/ 1899م.

22.الحركة الفكرية بالمغرب في العهد السعديين، ج2، مطبوعات فضالة، الدار البيضاء، المغرب، 1398هـ/ 1978م.

23.الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، مطبوعات فضالة، الدار البيضاء، المغرب، 1398هـ/ 1978م.

24.حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ من بداية المرنيين إلى نهاية السعديين،ج2، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 2000م.

25.درياس لخضر،المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، ط.1، دار الحضارة للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2007م.

26.درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط.1، دار الحضارة للطباعة والنشر، الجزائر،2007م.

27.الزبيري محمد العربي، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، د.ط، الجزائر، 1985م.

28.سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830، ط.5، دار البصائر، الجزائر،2007م.

29.سعيدوني ناصر الدين والبوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

30.شريط محمد عبد الله والميلي مبارك، مختصر في تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

31.شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، لبيا، تونس، الجزائر، المغرب، ط.1، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، 1988م.

32.صادق نور الدين، حركة الشيخ يحي الحاجي وقيام إمارة تارودانت من الدعوة إلى الإمارة، ج1، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2010م.

33.عباد صالح، الجزائر خلال الحكم العثماني، ط.1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

34.فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م.

35.قبلي محمد، تاريخ المغرب تحنين وتركيب، ط.1، الرباط، 2011م.

36.القدوري عبد المجيد، ابن أبي محلي الفقه الثائر ورحلته الإصليت الخريت، د.ط، منشورات عكاظ، المغرب، 1991م.

37.كروم عبد الله، الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، دار النشر، دحلب.

38.كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، المملكة المغربية، الرباط، 1427هـ/2006م.

39.مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

40.المنوني محمد، دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1405هـ/ 1985م.

41.الميلي مبارك بن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر في الحديث والقديم، ج3، بيروت، لبنان، 1964م.

42.الناصري أبي العباس أحمد بن خالد، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح، الأستاذ جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج6، الدار البيضاء، 1955م.

43.واحيحي سعيد، مهداوية ابن أبي محلي الفيلالي ومخطوطه "تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة"،ط.1، مطبعة الرباط.

د) المراجع باللغة الأجنبية:

44. Jacques berque.ulemas, fondateurs, insurges du maghreb ,xviie siècle, éditions , sindbad, paris ,1982

هـــ) القواميس والمعاجم:

45.بن منصور عبد الوهاب، أعلام المغرب العربي، ج5، المطبعة الملكية، الرباط، 1410هـ/ 1990م.

46.الترغي عبد الله المرابط، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن 12ه منهجيتها – تطورها – قيمتها العلمية، ط1، د.بلد، 1420هـ/ 1999م.

47.حجي محمد، موسوعة أعلام المغرب، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1050هـ،

48.الحضينكي محمد أحمد، طبقات الحضينكي، تق، وتح، أحمد بومزكو، ط.1، الدار البيضاء، 1427هـ/ 2006م.

49.الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين، ج1، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت.

و) الرسائل الجامعية:

50.واحيحي سعيد، سجلماسة/تافيلالت من اندراس المدينة إلى واحة القصور 796هـ/ 1393م، إلى أواخر القرن 11ه /17م، (دراسة تاريخية، اجتماعية، ثقافية)، أطروحة لنيل الدكتورة في التاريخ، إشراف مولاي هاشم العلوي القاسمي، شعبة التاريخ ظهر المهراز فاس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المملكة المغربية، 1425هـ/ 2004م.

المقالات:

51.برشان محمد، الشيخ أحمد بن أبي محلي الفقه السياسي، تفاعل ثقافي وتواصل تاريخي، سلسلة القوافل العلمية(2)، دور علماء ساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، ملتقى بشار، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م.

52.حمادي الإدريسي عبد الله، كتابات ابن أبي محلي نزيل الساورة(ت 1021هـ / 1612م) من مصادر تاريخ هذه البلاد وتخومها المجاورة، ملتقى بشار، دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، سلسلة القوافل العلمية (2)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م.

53.موساوي مجذوب، فهرسة لمؤلفات الفقه أحمد بن أبي محلي المخطوطة، المجلة الخلدونية، ع ، السابع، تيارت.

فهرس
الموضوعات

الفهرس الصفحة

بسملة

تشكرات

إهداء

مقدمة ..... أ

الفصـــل الأول: عصر أحمد ابن أبي محلي بالجزائر و المغرب الأقصى

– أولا: عصره بالجزائر 06

– 1: الحياة السياسية 06

– 2: الحياة الإقتصادية 11

– 3: الحياة الاجتماعية 14

– 4: الحياة الثقافية 16

– ثانيا: عصره بالمغرب الأقصى 17

– 1: الحياة السياسية 17

– 2: الحياة الإقتصادية 20

– 3: الحياة الاجتماعية 22

– 4: الحياة الثقافية 23

الفصل الثاني: حياة ومسيرة أحمد ابن أبي محلي

– أولا: إسمه ومولده 26

– ثانيا: نسبه 28

– ثالثا: تعليمه 30

– رابعا: صفاته 42

– خامسا: تصوفه 43

– سادسا: جهاده 48

– سابعا: مقتله 61

الفصل الثالث: آثار أحمد ابن أبي محلي

– أولا: مؤلفاته النثرية 64

– ثانيا: مؤلفاته الشعرية 82

خاتمة 90

الملاحق 92

قائمة المصادر والمراجع 99

فهرس الموضوعات 106